www.facebook.com/ZaitonMagazine - zaiton.mag@gmail.com - www.zaitonmag.com
محلية اجتماعية ثقافية نصف شهرية مستقلة السنة الخامسة | 15 كانون الأول 2017

زيتون

العدد: 169

حكومة الإنقاذ بعيون أهالي إدلب

سواعد وطن بالتعاون مع المرأة المتعلمة ينهي دورة متدربات

دورة المدربات من صفحة سواعد سواعد وطن

أنهى فريق سواعد وطن بالتعاون مع رابطة المرأة المتعلمة، يوم الثلاثاء الماضي ٥ تشرين الأول، دورة تدريبية لإعداد المدربين، التي نظمها في مدينة إدلب وحضرها ٢٠ متدربة.

منسق سواعد في الداخل وقائد الفريق في محافظة إدلب «أحمد البليخ» قال لزيتون: «تأسس فريق سواعد وطن في محافظة إدلب من قبل سبعة شبان من ريف سراقب الشرقي وفي بلدة الرصافة الشرقية بالتحديد، وذلك بتاريخ ١ كانون الثاني ٢٠١٧، ويتبع الفريق لجمعية سواعد وطن الموجودة في غازي عينتاب».
وأضاف قائد الفريق: «الهدف من تشكيل الفريق هو زرع روح المبادرة والتطوع لدى الشباب، وتنمية المهارات والقدرات ورفع الكفاءات في محافظة إدلب، من خلال إقامة فعاليات ودورات ونشاطات لتمكين الشباب من اكتساب الخبرات ومساعدة الأخرين.

وعن النشاطات التي نفذها فريق سواعد وطن قال «البليخ»: «بدأ الفريق نشاطه في محافظة إدلب بدورة تمريض في قرية رأس العين في ريف سراقب، حضرتها ٢٥ أنثى، اكتسبن خلالها خبرة في الإسعافات الأولية، ما أغنى القرية بشريحة كافية من الفتيات ذوات الخبرة في هذا المجال، كما أقام الفريق ورشة للغة العربية وتعليم الخط العربي في قرية الرصافة الشرقية في ريف سراقب الشرقي، حضره ١٥ متدرباً، فضلا عن توزيع هدايا ونشاطات ترفيهية في بعض مخيمات النزوح في قرية تل الطوقان في ريف إدلب الشرقي.
ويعمل فريق سواعد وطن بشكل تطوعي خالص دون تلقي أي دعم، معتمدين على مبادرة وتطوع المدربين في إقامة هذه الدورات بحسب قائد الفريق.

وأضاف نائب قائد الفريق «فادي النايف» أن رغم الصعوبات التي تعترض عمل الفريق كونه تطوعيا، إلا أن أنجاز النشاطات وروح التعاون ضمن الفريق، انعكس إيجابياً على المتدربين.
وقال مدرب دورة إعداد المدربين وعضو فريق سواعد وطن الدكتور «حسين العلي»: «فريق سواعد وطن فريق تشكل بهمة شباب لا يملكون سوى روح مبادرتهم العالية ورغبة جادة في العمل من أجل البناء، يفتقرون للجانب المادي لكنهم أغنياء بالطموح».

وأضاف المدرب: «تمكن الفريق رغم الصعوبات من إقامة الكثير من الأنشطة والفعاليات ذات المردود العالي، بإمكانيات متواضعة كان آخرها دورة إعداد المدربين، التي كان هدفها إعداد شبان لديهم الخلفية والخبرة العملية الكافية للعمل كمدرب مع إكسابهم المهارات لنقل المعلومات والخبرات إلى الأخرين بالأساليب التدريبية الحديثة».

وعن مدى فائدة المتدربات من الدورة قال المدرب: «تفاوتت الفائدة بين المتدربات بحسب المؤهل العلمي و الخبرات المهنية السابقة، وكذلك درجة الرغبة، لكن أقل المتدربات استفادة تمكنت في النهاية من تخطي المخاوف من الجمهور والقدرة على الوقوف أمامهم وإيصال فكرتها».
ويرى «العلي» أن من المهم التركيز على تفعيل دور المرأة وأعادة مكانتها بشكل تكون قادرة على الإنجاز ضمن مكانها الطبيعي، ولذا فهي بحاجة لمثل هذه الورشات.

من جانبها وصفت مديرة رابطة المرأة المتعلمة في إدلب «نرمين خليفة» دورة إعداد المدربين بأنها الدورة الأولى المجانية التي نفذتها الرابطة، مشيرة إلى أن أكثر من عشرين متدربة قد حضرنها واستفدن منها، في مجال التدريب، من خلال تدريبات لكسر الخجل بين المتدرب والمتدربين، وكسب ثقة المتدربين، إضافة إلى مهارات التواصل والتركيز على لغة الجسد وايماءات الجسم والوجه.

وأشارت «خليفة» إلى أن المتدربات سيتابعن تدريبهن في مستويات أخرى في نشاطات قادمة للحصول على شهادة مدرب.

حضور نسائي لمعرض الرسوم الكاركاتورية في سراقب - زيتون

معرض للرسوم الكاريكاتورية في سراقب

ثمانية رسامين معظمهم من إدلب، سيتم التصويت على لوحاتهم من قبل الحضور لنيل جوائزهم.

وقال مدير مركز مسار والمشرف على المسابقة «عقبة باريش»: «المعرض جزء من حملة ستضم مسابقة رسم ومسابقة أدبية ومسابقة سينمائية، الهدف منها التأكيد على قدرة الشباب السوري على الإبداع وقدرة المحافظة على تنفيذ مثل هذه الفعاليات على مستوى سوريا وبمشاركة سوريين من داخل وخارج سوريا».

وأضاف «باريش» أن المسابقة الأدبية والتي حملت عنوان «مسابقة أبو العلاء المعري للفنون الأدبية» هدفها نقل الصورة الحقيقية عن المحافظة ودورها الحضاري في تجسيد أمال السوريين، كما سيتم خلال الحملة تقديم ١٠ منح لإنتاج أفلام قصير، حملت الدورة عنوان دورة نبيل المالح، سيحكم كل من المسابقة الأدبية والسينمائية لجنتي تصويت فيما سيبقى التصوير للجمهور في مسابقة الرسم».
وقالت المشاركة في مسابقة الرسوم الكاريكاتورية «أماني العلي»: «شاركت بالمعرض بهدف إثبات نفسي كرسامة كاريكاتير نتيجة لخبرتي القليلة في هذا الفن، كما أنني أحببت أن أشارك في هذه الفعالية لكي تعود الحياة إلى محافظة إدلب، وأننا ما زلنا قادرين على الفعل، وأن يعلم من هم في خارج سوريا أن هناك أشخاص في سوريا تعمل وهناك من يحب الحياة والرسم».
وأضافت «العلي»: «شاركت بثلاث لوحات، بمواضيع مختلفة، انتقدت فيها سياسة المنظمات الفاسدة، وتأثير وسائل التواصل الاجتماعي على حياتنا، ومعاناة الناس في المناطق المحررة وتجارة الأخرين بهم»

وختمت «العلي» حديثها أنها تتمنى أن تستمر هذه الفعاليات، نتيجة لقلة الخبرة المتوفرة لدى المشاركين، وتلقي الملاحظات والإرشادات لتطوير عملها في فن الكاريكاتير.

الدفاع المدني يتهم وكالة سمارت بالمتاجرة بمأساة السوريين والوكالة ترد

منع الدفاع المدني السوري في بيان له مكاتبه الإعلامية من التعامل مع وكالة سمارت الإعلامية، وذلك بسبب سياسة الوكالة التي اتهمها البيان بالمتاجرة بالشعب السوري.
وقال البيان: «يمنع التعامل مع وكالة سمارت الإعلامية أو مع مراسليها أو مصوريهم بشكل مباشر أو غير مباشر، كما يمنع مراسلو الوكالة من تصوير عمليات الدفاع المدني داخل أو خارج المراكز، وذلك بسبب سياسة الوكالة التي تعتمد على المتاجرة بالشعب السوري ومأساته».

وأضاف البيان: «يأتي هذا القرار بعد أن قامت إدارة الدفاع المدني السوري بالتواصل مع الوكالة بغرض الحصول على مقاطع فيديو منهم لعرضها ضمن حلقة في قناة عالمية الهدف منها تسليط الضوء على مجزرة خان شيخون، إلا أن وكالة سمارت طلبت مبلغ ١٠٠٠ دولار عن كل دقيقة، وقاموا بطلب مبلغ ١٥ ألف دولار عن ربع ساعة تصوير، سواء تم عرضها أو لم يتم، وهذا السعر هو لعرض واحد دون الحصول على حقوق ملكية».

وأشار البيان إلى أن الفيديوهات كان قد تم طلبها لصالح الدفاع المدني السوري وليس من القناة التلفزيونية، مؤكدا أنه يدعم حرية الصحافة والتعبير ولكنه يرفض المتاجرة بمأساة الشعب السوري وتحويلها لمكسب تجاري.
من جانبه رد رئيس مجلس إدارة وكالة سمارت «شمسي سركيس» أنه تم الاتفاق على أن التسعير سيكون بالدقيقة، لترك فرصة للدفاع المدني باختيار المقاطع المناسبة لهم، مؤكدا على أن سمارت قد وافقت على تقديم المقاطع المطلوبة مجانا في حال زودتها مؤسسة الدفاع المدني بصيغة العقد الموقع مع الشركة المنتجة، لضمان أن لا تستخدم المقاطع تجارياً بحسب «سركيس».

وأكد سركيس على رفضه ما وصفت به إدارة الدفاع المدني وكالة سمارت بـ «المتاجرة بالشعب السوري ومأساته»، منوهاً إلى مقدار الجهد الذي قدمته وتقدمه كوادر وكالة سمارت لدعم الدفاع المدني، والمخاطر التي يتكبدها الإعلاميون خلال مرافقتهم لعناصرها.

الدراجات المسرعة والتعدي على الأرصفة.. سمة شوارع إدلب

على أرصفة إحدى شوارع مدينة إدلب، يقف يزن الطفل الصغير ذو الستة أعوام، يراقب ويخطط وينتظر لحظة انطلاقه ليعبر الطريق بسلام، ويصل إلى منزله بعد يوم مدرسي طويل، ولعل عبور يزن للطريق أمر يضاهي في خطورته عبور رجل من طريق يرصده القناص، والسبب هو انتشار الدراجات النارية التي يقودها بعض الشبان بشكل جنوني وسرعات فائقة في شوارع المدينة.

تجاوز البسطات على الشوارع في مدينة إدلب - زيتون

محمد المحمود

ونظراً لإمكانية الأهالي من تأمين الكثير من مستلزماتهم عبرها، وما توفره عليهم من أعباء، واقتصاديتها في استهلاكها للوقود الذي بات مرتفع السعر أو شبه مفقود، وحاجتهم لوسيلة نقل، فقد انتشر استخدام الدراجات النارية بشكل كبير في مدينة إدلب بعد تحريرها.

الحاج «عبد القادر أبو خالد» من أهالي مدينة إدلب، دفعه عمله اليومي في بستانه لاقتناء دراجة نارية، ورأى فيها حاجةً ماسة، وحلاً مناسباً، يُجنبه دفع أجرة سيارة يومياً، وعناء انتظارها أو البحث عنها للذهاب إلى بستانه البعيد.

وكان الهدف من اقتناء الدراجات النارية من قبل الأهالي، هو تأمين احتياجاتهم بشكل سلس، وتوفير الكثير من الأعباء المادية على أنفسهم، إلا أن البعض أساء استخدامها، وغيّر الهدف من وجودها، لتصبح لمجرد المتعة في أيدي بعض القاصرين.

«فادي الأحمد» صاحب إحدى البسطات في سوق مدينة إدلب قال لزيتون: «قيادة بعض الأطفال للدراجات النارية من أخطر المشاكل التي تواجهنا في سوق المدينة وشوارعها، والتي كثيراً ما تتسبب بحوادث أو خلافات، وعلى أقل تقدير تؤدي لازدحام مروري في شوارع المدينة، ولا سيما أنهم يقودونها بسرعة خيالية، ويجعلون من الأزقة مضماراً لسباقاتهم، ويقومون فيها بحركات بهلوانية وخطيرة كحركات «التشبيب» و «التشفيط»، ولا يقتصر الأمر على الأطفال فقط، بل هناك بعض الشباب يقودون دراجاتهم بالطريقة ذاتها».

«لست ضد القيادة بسرعة، ولكن شريطة أن تكون السرعة خارج المدينة وليس في شوارعها وأحيائها، حيث تكثر السيارات والأهالي».

واعتبر «أدهم المالك» من أهالي مدينة إدلب أن انتشار الدراجات بشكل كبير في المدينة، وقيادتها بسرعات فائقة ظاهرة خطيرة، مطالباً بوضع قوانين لتسجيل الدراجات النارية، وضبط حركتها، وتحديد السرعات المسموح بها، لتجنب وقوع حوادث في شوارع المدينة، فخطأ بسيط كفيل بأن يودي بحياة سائق الدراجة ومن يظهر أمامه، بحسب تعبيره.

من جانبه قال «حسين المحمود» شاب من مدينة إدلب لزيتون: «أجد متعة في قيادة الدراجة بسرعة، وكلما ازدادت السرعة، ازدادت متعتي، ولكنني لا أقود بسرعة كبيرة داخل المدينة، وإنما أتجه إلى الكورنيش وهناك أقود دراجتي كما يحلو لي».

وأضاف «المحمود»: «لست ضد القيادة بسرعة، ولكن شريطة أن تكون السرعة خارج المدينة وليس في شوارعها وأحيائها، حيث تكثر السيارات والأهالي».

وكانت القوة التنفيذية في مدينة إدلب قد فرضت في وقت سابق، عقوبات ومخالفات على كل من يقود دراجة نارية بسرعة، أو يقوم بالتشفيط أو التشبيب، وحددت القوة التنفيذية في بيانها ذاك، عقوبة المخالفين بالحجز على الدراجة النارية لمدة أسبوع، ودفع غرامة مالية قدرها ٥٠٠٠ ليرة سورية.

وفي حال تكرار المخالفة للمرة الثانية تُحجز الدراجة لمدة خمسة عشر يوماً، وترتفع الغرامة المالية إلى ١٠٠٠٠ ليرة سورية، بينما تُصادر الدراجة النارية، ويُحال صاحبها إلى القضاء، في حال تكراره المخالفة للمرة الثالثة، إلا أن الأمر بقي حكراً على الورق، ولم يتم تطبيقه على أرض شوارع وأحياء مدينة إدلب، لتبقَ شكوى الأهالي وشغلهم الشاغل على مدى أشهر طويلة، لا سيما أن هناك العديد من حوادث الاغتيالات والتشليح تمّت باستخدام الدراجات النارية المسرعة.

التعدي على الشوارع.. معاناة أخرى بمدينة إدلب

بالإضافة إلى ظاهر الدراجات النارية المنتشرة في شوارع مدينة إدلب، يعاني أهالي المدينة من ظاهرة التعدي على شوارعها وأرصفتها من قبل أصحاب المحال التجارية والبسطات والسيارات، ليقعوا ما بين ناري الدراجات المسرعة التي تقطع طريقها غير آبهة بمن فيه، وبين البضاعة التي تجتاح كل المساحات الخالية أمامها، وتجعل من الأهالي ضحية سهلة لسائقي الدراجات النارية وغيرهم، لا سيما في ظل الازدحام المروري الذي تشهده المدينة، والكثافة السكانية الكبيرة التي تعانيها.

ويضطر «ثائر الحاج سليمان» من أهالي مدينة إدلب في كثير من الأحيان للسير في منتصف الطريق، وعلى يمينه ويساره تسير السيارات، مما يهدد حياته للخطر في بعض الأحيان، وذلك نتيجةً لتغطية أجزاء من الشوارع بالإضافة إلى الرصيف بالبضائع، مطالباً القوة الأمنية بوضع حد لهذه الظواهر التي تخنق شوارع مدينة إدلب، بحسب قوله.

بينما اشتكى «أحمد العلي» من أهالي مدينة إدلب من عدم وجود أنظمة سير تحدد المخالفات، وعدم وجود كراجات خاصة لركن سيارته فيها أثناء تواجده في السوق أو العمل، مما يجعل أصحاب السيارات يركنونها بشكل عشوائي، طولياً وعرضياً وكيفما شاؤوا، ويحدث ازدحاماً مرورياً، وإغلاقاً للطريق على بعضها البعض.

واتهم «زكريا الموسى» من أهالي المدينة، القوة الأمنية بمدينة إدلب بالاستهتار والتغاضي عن أصحاب المحلات، مضيفاً: «لولا سكوتها عن أصحاب المحلات، وعدم اتخاذها أي إجراءات بحقهم، لما كانوا ملأوا شوارع معظم مدينتنا بالبضائع، ولكن الأمر الجيد أنهم تركوا لنا إلى الآن جزءاً نسير فيه».

كذلك أرجع أصحاب المخالفات أنفسهم، سبب مخالفاتهم وتعديهم على أرصفة وشوارع المدينة إلى تقصير القوة الأمنية والقائمين على إدارة المدينة.

«أحمد الدوماني» صاحب محل تجاري بمدينة إدلب قال لزيتون: «لا يتسع محلي لكل البضائع، وبعد أن رأيت جيراني يعرضون بضاعتهم في الشارع دون عقوبة عليهم من قبل أي جهة، قمت بوضع البضاعة على الشارع، وأي جهة ستعمل على إزالة هذه الظاهرة، سأتعاون معها وأزيل بضاعتي».

وقال «محمود الجابي» صاحب بسطة خبز بطول ٣ أمتار في منطقة دوار الساعة بمدينة إدلب لزيتون: «محلي بعيد ولا يرتاده أحد نتيجةً لبعده، ولذلك اخترت مركز المدينة لأضع بسطتي فيه، وعندما لم أجد مكاناً لها على الرصيف، اضطررت لوضعها على جزء من الشارع، ولا سيما أن القوة الأمنية لم تعمل على منع أو إزالة أي بسطة، ولا بد أن تقصيرها هو السبب بانتشار المخالفات».

وما بين البضائع والسيارات والقيادة المتهورة للدراجات، يفتقد أهالي مدينة إدلب لطريق سالك بسهولة ليعبروه، ولتبقَ شوارع المدينة ومخالفاتها برسم القوة الأمنية، والقائمين على إدارتها، أو من يسمون أنفسهم «حكومة»، ومقرها في تلك المدينة الصغيرة، وإذا لم تكن الحكومة بحد ذاتها قادرة على حل أبسط مشاكل وهموم أهالي المدينة، فكيف بها بمشاكل المحافظة؟، وما هو عملها؟، وعلى أي أساس تُدعى حكومة؟!.

ألواح الطاقة الشمسية - بنش - زيتون

ألواح الطاقة الشمسية تخفف من طغيان الأمبيرات

في عام ٢٠٠٩ أطلقت جامعة القلمون السورية الخاصة، مشروعاً لتشجيع انتشار تقنيات توليد الكهرباء من الطاقة الشمسية، وكانت جامعة القلمون أول من طبق هذه التقنية، وكان هدفها من المشروع محاولة التخفيف من حدة ثلاث مشكلات مزمنة كانت تعاني منها سورية آنذاك، وهي التلوث البيئي، والذي يزيد منه توليد الكهرباء باستخدام النفط، والحاجة المتزايدة للكهرباء والطاقة نتيجة التضخم السكاني الكبير، لا سيما مع الجفاف الذي أدى لشح المياه وبالتالي تراجع إنتاج الكهرباء.

أسعد الأسعد

وتبنت شركة ألمانية المشروع، وذلك كون مستوى الاشعة الشمسية في سورية يعد ثاني أعلى مستوى بين الدول العربية، بحسب «توماس فالبراغر» ممثل الشركة الألمانية، والذي أكد حينها أن آلاتهم ستكون منتجة في سورية أكثر من أي بلد أوربي.

وقارن «رامي كمال» صاحب فكرة المشروع والمدير في غرفة تجارة حلب للشباب في ذلك الوقت، ما بين ارتفاع تكلفة توليد الكهرباء بالطاقة الشمسية، وأضرارها على البيئة، وبين انخفاض تكلفة توليد الكهرباء باستخدام مولدات تعمل على النفط، وأضرارها الكبيرة على البيئة، بحسب ما نقلته «بي بي سي».

وانتشر استخدام ألواح الطاقة الشمسية في سوريا بعد ذلك، ولكن الهدف الرئيسي من استخدامها كان تسخين المياه بالدرجة الأولى، ولم يتطور لتوليد الكهرباء، وذلك نظراً لتوفر الكهرباء في كافة المناطق والمنازل في ذلك الحين.

ولكن ما أن بدأت الثورة، بدأ معها التقنين في الكهرباء لساعات، أو أيام، ليصل لاحقاً إلى حدّ انعدامها عن كل مدينة أو منطقة تتحرر من نظام الأسد.

ومع استمرار انقطاع التيار الكهربائي لأكثر من ٤ سنوات عن مدن وبلدات محافظة إدلب، وارتفاع أسعار المحروقات اللازمة لتشغيل المولدات، والتي شكلت الحل البديل المحدود للكهرباء، جعل أهالي المحافظة، يبحثون عن حلٍ أقل كلفة وأعطال، وأكثر راحة وديمومة، وتمثل الحل باستخدام ألواح الطاقة الشمسية، لتوليد الكهرباء خلال النهار، وشحن البطاريات عبره، لاستخدامها ليلاً، وهو ما انتشر بكثرة في محافظة إدلب منذ عام تقريباً، ويتزايد الطلب عليه يوماً بعد يوم.

وألواح الطاقة الشمسية هي عبارة عن ألواح معدنية خفيفة الوزن، تحوي خلايا مكونة من مادة السيليكون، متصلة ببعضها البعض، وظيفتها إنتاج الكهرباء.

«أحمد فلاحة» صاحب محل لبيع ألواح الطاقة الشمسية في مدينة بنش تحدث لزيتون عن أسعار الألواح وأحجامها وكمية الكهرباء التي تنتجها قائلاً: «تتواجد الألواح الشمسية ضمن أحجام مختلفة، وتختلف أسعارها واستطاعتها تبعاً لأحجامها، والتي تبدأ من ٢٠ دولار أمريكي للوح ذو حجم (طاقة) ٥٠ واط، و ٤٠ دولار أمريكي للوح ١٠٠ واط، و ٦٠ دولار أمريكي للوح ١٥٠ واط، و ٨٠ دولار أمريكي للوح ٢٠٠ واط، وصولاً إلى ١٠٠ دولار أمريكي للوح بطاقة ٢٥٠ واط». وأضاف «فلاحة»: «تختلف كمية الطاقة الكهربائية المنتجة عبر ألواح الطاقة الشمسية بحسب حجم هذه الألواح، حيث يولّد اللوح ذو الطاقة ٢٥٠ واط أمبير واحد من الكهرباء، ويتم استيراد هذه الألواح من تركيا أو الصين من قبل التجار، وبدورنا نشتريها نحن كأصحاب محلات من التجار المتواجدين في مناطقنا كسراقب والدانا».

وعن آلية عمل الألواح وكيفية تركيبها أضاف «فلاحة»: «توضع ألواح الطاقة الشمسية على أسطح المنازل، لتستقبل أشعة الشمس وتحولها لتيار كهربائي يسري في خلايا اللوح، وبعدها إلى الأسلاك، لينتقل التيار إلى البطاريات الموجودة في هذه المنازل ويقوم بشحنها، ومن ثم يتم رفع قيمة التيار من ١٢ فولط إلى ٢٢٠ فولط بواسطة رافع للجهد أو ما يسمى ubs».

ومؤخراً أصبحت هذه الألواح الشمسية توضع على قاعدة متحركة، لتتمكن الألواح من ملاحقة الشمس من الشرق وحتى الغرب، ومن ثم ترجع إلى الشرق ليلاً، وذلك نتيجةً لوضع حساس شمسي في أسفل مفصل القاعدة، بحيث يتم تتبع الشمس أينما ذهبت، بحسب صاحب محل بيع الألواح الشمسية.

وعلى الرغم من أن استخدام الطاقة الشمسية في توليد الكهرباء، مكّن الأهالي من الاستغناء إلى حدّ كبير عن مشاكل المولدات الخاصة، وانقطاع الكهرباء النظامية أو تذبذبها، ومنحهم كهرباء على مدى بعيد، وبسعر مقبول، يُدفع لمرة واحدة، وبات عدد لا بأس به من أهالي المحافظة يستخدم حالياً ألواح الطاقة الشمسية، التي أثبتت جدارتها بحسب تعبيرهم، إلا أنها لا تخلو من بعض السلبيات، وفي مقدمتها تأثر الطاقة الشمسية بحالة الطقس بشكل كبير.

«محمد رسلان» من أهالي مدينة بنش قال لزيتون: «لجأت لاستخدام الألواح الشمسية منذ أكثر من عام، وقمت بتركيب ٤ ألواح، وقد أغنتني كلياً عن التيار الكهربائي خلال فصل الصيف، وأسعارها معقولة، وأضرارها قليلة، فهي لا تتعطل إلا في حال تعرضها لقصف أو لصدمة قوية، ولكن المشكلة التي واجهتني هي ضعف عملها في الشتاء، لذلك قمت بالاشتراك بأمبير واحد من المولدات الخاصة، لكي يساعد الألواح في شحن البطاريات».

التوأم ألين ولورين - زيتون

نجمتين.. وشوية أمل

ربيع رزاز

تقضي سعاد كل وقتها مع عائلتها، التي تعتبرها وطنها، وتعطيها كل ما لديها من حب ودفء، وتشعر بغربة قاتلة عندما تبتعد عنها ولو قليلاً، وتسابق الوقت للعودة إلى حضنها الدافئ، بالمقابل تحصل سعاد على طاقة إيجابية هائلة، تجعلها قادرة على تحدي الحياة ومصاعبها، وعلى رسم مستقبلها ومستقبل عائلتها بكل تفاؤل، لمجرد أن تضم طفلتيها إلى صدرها، أو أن تمسك بيديهما الصغيرتين.

تقول سعاد: «حبٌ كبير عمّ منزلي، وجعل كل الصعوبات تهون، كان مستقبلي مبهم المعالم، وأصبح واضحاً كما الشمس، ابنتيّ هما صديقتيّ اللتين أجد في قلبيهما الصغيرين مكاناً لأسراري، فاستمتع بالبوح لهما، وأكون على ثقة بأني وضعت سري في مكان آمن، أما زوجي فقد كان وما يزال مصدر قوتي وسعادتي».

وتضيف سعاد: «تغيرت حياتي بشكل جذري، ومنزلي الذي كان بارداً ومظلماً، أصبح يشع نوراً ودفئاً، ومشاعري المقيدة، حُلَّ وثاقها، ولكن أبواباً جديدة من التحديات فتحت بعد ولادة طفلتيّ التوأم، فأكبر الصعوبات التي واجهتني لم تكن من الناحية المادية، ولا حتى من ناحية الأعمال الكثيرة التي كانت تأخذ كل وقتي، بل كانت في محاولة تقسيم المشاعر والعواطف، فقد كنت أستغل وقت نوم إحداهن للاهتمام بالأخرى، فتربية فتاتين صغيرتين بطبعين مختلفين وعمر واحد أمر ليس بالسهل».

لم تكن «إيلين» السمراء الصغيرة، ذات العينين الساحرتين، تقبل شريكاً لها في حضن والدتها، وعلى الرغم من أنها فتاة هادئة جداً إلا أنها مزاجية في الوقت ذاته، ولديها مشاعر جياشة، وإذا أحبت امتلكت.

أما «لورين» الفاتنة الصغيرة، فكانت تتمتع بقلب كبير، وكأنها عرفت الوضع وقدرته برغم صغرها، فتقمصت دور الأخت الكبرى، وانسحبت من حضن والدتها حباً بأختها ومراعاة لمشاعرها، لكنها لجأت لحضن والدها لتستمد منه الدفء والحنان، بهذه الكلمات وصفت سعاد طفلتيها التوأم، اللتين انتظرت مجيئهما سنوات طويلة.

ولم يكن ينقص سعاد خلال تلك السنوات، سوى مولوداً يجعل منها أماً، لتكتمل به سعادتها في حياتها الزوجية، وانتظرت كثيراً، وزارت العديد من الأطباء دون جدوى، وأصبحت تخرج من البيت صباحاً، دونما رغبة بالعودة إليه، وبات منزلها مأوى للنوم فقط، كما باتت دعوات من حولها ولا سيما والدتها، تخنقها وتزيد من كآبتها.

وحاولت سعاد مراراً أن تشغل نفسها عن التفكير بأمومتها المفقودة، وتتقبّل قدرها، وتكبت مشاعرها، وتبتعد قدر الإمكان عن الجلسات العائلية، لكن رؤيتها للأطفال أينما حلّت كانت تحرك مشاعرها من جديد، فلجأت إلى إفراغها بطفلة من أطفال عائلتها، تسكن معها في نفس المنزل، ولكن قرب المكان لم يكن هو وحده من استطاع تقريب «زينة» الطفلة الجميلة من قلب سعاد، بل كان احساس سعاد بأن الله أرسل لها زينة لتدفئ روحها بجرعات من الحنان، هو من جعلها قريبةً منها إلى هذا الحد، ولكن سعاد لم تيأس أبداً.

تقول سعاد : «بعد عدة سنوات مللت الانتظار، وأحسست بأن حياتي بلا طعم أو لون، ولكن لم أفقد الأمل، ودعوت الله في سري وحاولت ألا أبوح بمشاعري أمام الآخرين، إلا أن غريزةً قد فطرها الله في قلبي أبت إلا أن تظهر بين الحين والآخر في بعض المواقف، إلى أن قررنا أن نجري عملية زرع أجنة أو ما يسمى «طفل الأنبوب»، ومع أنه كان مكلفاً ونتائجه غير مضمونة، إلا أنني كنت مستعدة لدفع كل ما أملك كي أصبح أمّاً».

وعن الظروف التي واجهتها خلال حملها والتحديات التي خاضتها للحفاظ عليه تقول: «فعلاً مضيت في الأمر، ومرت شهور الحمل صعبة وقاسية، ليس من الناحية الصحية، بل بسبب تدهور الأوضاع الأمنية في البلاد، واعتقال زوجي، وكنت أتساءل: أيعقل بعد كل هذا الانتظار أن تأتي طفلتيّ إلى الحياة بدون أب، أو أن تمتزج فرحة قدومهما بغصة غياب والدهما».

«أسئلة كثيرة خطرت ببالي في ذلك الوقت، ومشاعر متضاربة، ما بين حزني على غياب زوجي، وبين خوفي من خسارتي لصغيرتيّ اللتين ترقدان في أحشائي، كنت أشعر بالقوة تارة، وبالضعف تارة أخرى، إلى أن انجلى سواد تلك الأيام، وأكرمني الله بعودة زوجي، وسلامة طفلتيّ، اللتين لابتسامتهما البريئة قدرةٌ عجيبة على إزالة همومي، وبعث الأمل في روحي».

قراءة الذات في طاولة النرد

من المؤكد أن لعبة الطاولة المنتشرة على رقعة كبيرة في المشرق العربي ومغربه وبلاد فارس وتركيا، لعبة مغرقة بالقدم وذات شعبية كبيرة، إذ يحتوي متحف حلب على حجر نرد يعود تاريخه لثلاثة آلاف عام، لم يعرف أصل اللعبة على وجه الدقة، كما لم يعرف تاريخ نشأتها، لكن الألفاظ التي ما زال حتى اليوم ينطق بها اللاعبون أسماء أرقامها، هي ما بين الكردية والتركية، فيما يؤكد آخرون أنها أسماء سنسكريتية، أيا يكن أصلها فهي من القوة أن اللاعبين لا يقبلون ذكر الأرقام بغير تلك الألفاظ.

أحمد فرج

لم يكن يتخيل أن يتحول صديقه ذو الخامسة والخمسون عاماً، المتزن والهادئ، صاحب الرصانة والهيبة، إلى ذلك الشخص التي تتطاير منه مفردات الغضب والشتائم، ولسبب يعتبره تافهاً وصغيراً كلعبة «طاولة الزهر»، وهو ما دفعه ليراقب اللعبة بشكل جدي لتهدئة صديقه.

ما أن جامل صديقه بلعب بعض «البرتيات» لتمييع وقت فراغ سقيم، حتى دبت فيه روح المقامرة، وشده الحماس بعد اعجازات قدمها له النرد، حولته إلى منتصر بنشوة الفاتحين حين أخذ بعض الفوز من رجل أمضى سنيناً فيها، هذا حال إياد رمضان، الذي وقع بغرام النرد وخصص له وقتاً يومياً لممارسة هذه اللعبة مع أصدقائه وغير أصدقائه في المقهى القريب له في مدينة غازي عينتاب التركية.

لا يخلو جوارها من الشاي والقهوة والمتة، والكثير من الأحاديث والجدال والمرح، قادرة على خلق أجواء من المودة والتفاهم والانسجام، رغم تشكيك اللاعبين البريء لبعضهم البعض بتحالف الحظ معهم.

وتتكون اللعبة من ٣٠ حجراً مقسما علىً الطرفين، تصطف على صندوق خشبي مطعم بقطع ملونة وبأشكال هندسية، تحدد الخانات الاثنتي عشرة لكل لاعب، وهي موحدة في جميع ألعابها المتنوعة، والتي من أشهرها المحبوسة والمغربية والـ ٣١، لكنها بشكل عام تعتمد على فكرة نقل وتحريك القطع، دون السماح للخصم بعرقلتك مع محاولة عرقلته في نقل أحجاره، بهدف الحصول على النقاط الأكثر والأعلى.

شعبية فرضت مسابقات دولية

لا تقتصر على جنس أو عمر دون غيره، يلعبها الكبار والصغار من كلا الجنسين، ورغم ما تعارف عليها من أنها لعبة المتقاعدين وكبار السن، إلا أنها شهدت في السنوات الأخيرة إقبالا كبيرا لدى الشباب السوري، بعدما غادرتهم جاذبية وسائل التواصل الاجتماعي، ولدغتهم ألعاب التكنولوجيا، فهربوا من وحدتهم الإلكترونية إلى مشاركة بشر حقيقيين في ألعاب ممتعة فيها تواصل تام، فيها تكتمل الجلسات، وتبدأ الأحاديث، ومن خلالها يجتمع الأصدقاء تدفعهم لذة المشاركة في حرب الطاولة التي صار لها مسابقات تقام وبطولات تعقد على مستوى الدول كبطولة «طاولة الزهر» أو «النرد» العالمية في موناكو التي جرت في آب ٢٠١٥، وفاز بها المهندس الإسرائيلي «شمعون كجان» ذو ٧٣ عام، كما نظمت مدينة أبو ظبي بطولة في شهر حزيران من العام ذاته، ضمت ٦٠ لاعباً، رصدت جائزة ١٠٠ ألف درهم للفائز فيها.

لاقت اللعبة مؤخراً رواجاً بين صفوف النساء ولا سيما الشابات، اللواتي ما زلن يتجنبن لعبها في العلن، ويمارسنها في البيوت لتجنب الانتقادات، بهدف تمضية أوقات أكثر متعة، لا سيما أثناء غياب الأطفال الذين يشوشون على اللعبة.

رمية قد تدخلك إلى قلعة الخصم لتفرض عليه بؤسه، وليشهد على عجزه التام، ورمية أخرى قد تدمر كل ما بنيته من تعب وتفكير

ويتشابه أغلب المغرمين بهذه اللعبة في إرجاع الفوز لحنكتهم وذكائهم فيما يرجعون خسارتهم لحظهم العاثر، ومحاربة القدر له، فيما حالف الحظ الخصم الفائز، ولولاه لما انتصر.

كشف الذات وطبيعة اللاعبين

فيها تنعكس طبيعة اللاعب، ويمكن أن تقرأ طباعه وميوله من طريقة لعبه والمفردات التي يستعملها، فهي في ما تفرضه من حماس وغضب وترقب وأمل وخوف من غامض الغيب الذي سيأتي به النرد، تترك اللاعبين عراة أمام حقيقتهم الأولى، فروح الأبوة تتجلى عند البعض حين يشير إلى الخصم إلى حركة جيدة له، كما تظهر لؤم النفس في استعمال مفردات التشفي والسخرية.

ولا تخلو من صور الغضب في إغلاق الطاولة بعد عدة برتيات لخاسر كايده النرد، لكنها مجال لكسب المهارات النفسية وضبط النفس، فمن المؤكد أن الرابح سيخسر، ما يعلمه التواضع في انتصاره، كذلك الحال للخاسر الذي لا بد أن يواتيه النرد في وقت ما، فلا يركن للقنوط، وقد تحمل اللعبة الواحدة تقلبات كثيرة ما بين النصر والخسارة، لتبدو النتائج غالباً قريبة من بعضها.

لها تأثير المقامرة، فهي تغري النفس بالفوز الممكن والسهل، رمية قد تدخلك إلى قلعة الخصم لتفرض عليه بؤسه، وليشهد على عجزه التام، ورمية أخرى قد تدمر كل ما بنيته من تعب وتفكير، في احتمالات فلكية لا يمكن لعقل أن يتوقعها، وهي مع هذا لا تعتمد في كل شيء على النرد وحظ اللاعب، بل تحتاج إلى الكثير من الحنكة والذكاء والتركيز في اختيار الأماكن التي سترتب فيها أحجارك، مع استقراء المستقبل والتخطيط لما سيؤول إليه الوضع في مرحلة ما.

وتتطلب هذه اللعبة بديهة حاضرة وسرعة في تنفيذ نقل الأحجار، فالبطء مقتلها، ولن يجد اللاعب الذي يستغرق وقتاً طويلاً في نقل قطعه من يشاركه باللعب، وهو الأمر الذي يمنحها حيوية وديناميكية، ويضفي عليها المرح والنشاط.

فيها طرق يعرفها أهل الخبرة، وتقترب في كثير من جوانبها من لعبة الشطرنج، إلا في جانبها الغيبي والمجهول الذي سيأتي به النرد، فيها تظهر روح الهجوم والدفاع والمغامرة والحرص والتردد والاندفاع، في حديث لا يتوقف مع النرد الخائن والمحبب، مترافقا مع ضحكات عالية للمنتصر وصمت أجوف للمهزوم.

وهي قادرة على تعليمك الحكمة والتفكير في نواحي الحياة، فعدم كشف خططك للخصم وإعطاء الخصم الفرصة للخطأ، دون أن تتدخل لتقاطعه هي إحدى أهم العبر، فكل كلمة تنطقها سيستفيد منها الخصم لا محالة، إلا ما تمارسه عليه من ضغوط نفسية تضغط محاكمته المنطقية وتعمي عيناه من الغيظ.

وثمة محاكاة لافتة يجريها بعض الفلاسفة لإعطاء هذه اللعبة بعدا فلسفياً، إذ يرونها تعبر عن المذهب «الجبرية» التي تقول بعدم وجود دور للإنسان في اختياراته، ويمثله في هذا الاستسلام للقدر رميه للنرد على رقعة الطاولة التي تشابه الحياة، كما يعطون لألوان الأحجار السوداء والبيضاء ما يمثله ثنائية الليل والنهار والخير والشر، عدم تعقيدها يشابه بساطة اليقين والإيمان بالقضاء والقدر، وهو ما تناقضه لعبة الشطرنج تماماً، والتي تجسد مذهب الحرية وأن دور الإنسان في تحديد خياراته هو دور رئيسي فلا مجال للحظ أو القدر.

ما يزال أياد يرتاد المقهى ليمارس عادته اليومية في لعبة الطاولة، والتي قدمت له حلاً لما كان يعانيه من وحدة وانطواء لينخرط في تفاعل بشري أعاد إليه الثقة والألفة والوجود.

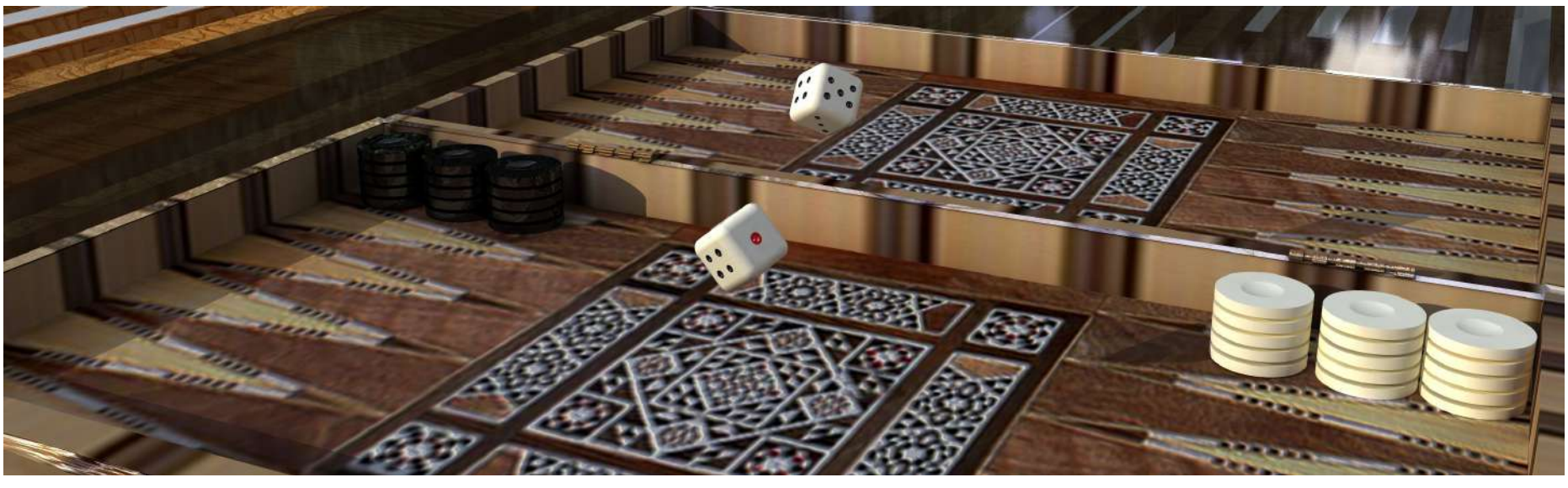

حكومة الإنقاذ - انترنت

حكومة الإنقاذ بعيون أهالي إدلب

تم الإعلان عن تشكيل حكومة الإنقاذ برعاية هيئة تحرير الشام يوم الخميس ٣ تشرين الأول الماضي، برئاسة «محمد الشيخ» رئيس جامعة إدلب سابقاً، ضمن مؤتمر عُقد في معبر باب الهوى الحدودي، وتم خلاله الإعلان عن حكومة الإنقاذ، بعد اجتماعات مفتوحة ومغلقة جرت بين رئيس الحكومة والهيئة التأسيسية.

فريق زيتون

وحدد المؤتمر ١٣ وزارة في الحكومة، وتم تسمية ١١ وزيراً فيها، بينهم ٩ من أبناء ريف محافظة إدلب واثنين من دمشق ووزيرا واحدا من حماه، مع غياب لأبناء مدينة إدلب وهم «أحمد ديب وزيراً للداخلية، إبراهيم شاشو وزيراً للعدل، جمعة العمر وزيراً للتعليم العالي، محمد جمال شحود وزيراً للتربية والتعليم، أحمد جرك وزيراً للصحة، فايز الخليف وزيراً للزراعة، عبد السلام الخلف وزيراً للاقتصاد، محمد عامر وزيراً للشؤون الاجتماعية والمهجرين، ياسر نجار وزيراً للإسكان والإعمار، فاضل طالب وزيراً للإدارة المحلية، أنس بشير الموسى وزيراً للأوقاف».

وجاء التشكيل عقب مبادرة أطلقها مجموعة من الأكاديميين في إدلب على رأسهم محمد الشيخ لتشكيل إدارة مدنية في آب الماضي، وتم إعلان المبادرة في جامعة إدلب، تبعها عقد «المؤتمر السوري العام» في أيلول الماضي بإدلب وانبثق عنها تشكيل «هيئة تأسيسية» مؤلفة من ٣٦ عضواً، انتخبت محمد الشيخ رئيسا لحكومة الإنقاذ.

وواجهت الحكومة المشكلة منذ اليوم الأول من إعلانها انتقادات واسعة أهمها تبعيتها لفصيل عسكري مسيطر على محافظة إدلب وهو هيئة تحرير الشام، التي أنهت وجود باقي الفصائل بالقوة، كما قامت بعد وقت قصير بالاستيلاء على المؤسسات الخدمية وسلبها من المجالس المحلية في المحافظة، ما أدى إلى تحجيم وإنهاء دور هذه المجالس، بالإضافة إلى تساؤلات حول مصير حكومة الإنقاذ، في ظل استمرار عمل الحكومة السورية المؤقتة، والأوضاع التي تعيشها المنطقة.

ولوحظت أسماء في حكومة الإنقاذ انتقلت إليها من الحكومة المؤقتة كجمال شحود الذي كان يشغل منصب معاون وزير التربية في الحكومة المؤقتة، ووزير الصحة أحمد الجرك رئيس المجلس العلمي للجراحة العامة التابع للحكومة المؤقتة.

خطوات قبل التشكيل

هيئة تحرير الشام كانت قد سبقت المبادرة المدنية التي قام بها الأكاديميون في دعوتهم لحكومة الإنقاذ ببعض الخطوات التي حاولت التمهيد لتشكيل الحكومة، كتشكيل مجلس مدينة بنش المدني في ٤ أيلول الماضي، الذي شكل بهدف تمثيل مدينة بنش في المؤتمر التأسيسي للحكومة، كما عقد أعضاء المبادرة عدة اجتماعات في المدن والبلدات للترويج لفكرة الحكومة المؤقتة منها اجتماعهم في مدينة سراقب مع مجلس الأعيان والشورى، صدر بعده بيان من المجلس المحلي في سراقب برفض الانضمام إلى حكومة الإنقاذ وتأكيده على تبعيته للحكومة السورية المؤقتة.

كما قامت هيئة تحرير الشام بعد سيطرتها على كامل محافظة إدلب في ٢٣ تموز الماضي، بتشكيل الإدارة المدنية للخدمات، والتي بدأت عملها بالسيطرة على المؤسسات الخدمية في المحافظة، وإنهاء المجالس المحلية والهيئات السياسية والمدنية، بقرارات اقصائية لتلك المجالس، ما تبعه تخوف كبير من قبل تلك الهيئات من انقطاع الدعم المقدم لها من الجهات المانحة التي ترفض التعامل مع هيئة تحرير الشام.

مواقف رسمية

بعد إماطة اللثام عن حكومة الإنقاذ، قوبلت بصمت الجهات الرسمية المعنية كالائتلاف الذي لم يصدر عنه أي بيان رسمي، سوى بعض التصريحات الرافضة لحكومة الإنقاذ من قبل بعض أعضائه، كما قال عضو الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية «محمد يحيى مكتبي» في تصريح له للقدس العربي «أن تشكيل حكومة ثانية، تدير المناطق المحررة في ظل وجود حكومة مؤقتة ما هو إلا بسبب «ضحالة في التفكير وقصر في النظر»، كما لم يصدر عن الحكومة المؤقتة أي بيان غير تصريح لنائب رئيس الحكومة المؤقتة «أكرم طعمة» أن تكون «حكومة الإنقاذ» حكومة محلية بامتياز متواجدة ضمن منطقة واحدة، في إدلب وبعض الأرياف التي يسيطر عليها فصيل عسكري محدد، ولن تستطيع الحصول على الشرعية، وستكون مقيدة غير قابلة للتوسع بسبب هيمنة تحرير الشام عليها.

كما أصدرت الهيئة السياسية في حلب، بياناً عقبت فيه على تسمية رئيس الحكومة، وقالت فيه: «إن حكومة الإنقاذ التي أعلنت عنها اللجنة التأسيسية للمؤتمر السوري العام، جاءت خلافاً لمخرجات ورشات العمل المنبثقة عن المؤتمر نفسه، وهي لا تحظى بقبول شعبي أو اعتراف دولي»، واصفةً إياها بحكومة مغالبة ستزيد معاناة الشعب السوري وتشتته بين الحكومتين.

حكومة الإنقاذ في إدلب تنذر الحكومة السورية المؤقتة

أنذرت حكومة الإنقاذ في الشمال السوري، المشكلة من قبل هيئة تحرير الشام في إدلب، يوم الثلاثاء ١٢ كانون الأول الحالي، الحكومة السورية المؤقتة بإغلاق كافة مكاتبها في المناطق المحررة، وإخلاء جميع المقتنيات الشخصية لها، تحت طائلة المسؤولية.

وحدد الإنذار الذي وقعه رئيس مجلس الوزراء في حكومة الإنقاذ محمد الشيخ، مهلة ٧٢ ساعة من تاريخ التبليغ لتنفيذ الإغلاق والإخلاء تحت طائلة المسؤولية.

وكانت حكومة الإنقاذ قد أصدرت بيانا يوم التاسع من كانون الأول الجاري، قالت فيه أنها ستتخذ الإجراءات المناسبة بحق الحكومة المؤقتة، على خلفية تصريح لمدير مكتب العلاقات العامة في الحكومة المؤقتة «ياسر الحجي»، من أن الحكومة المؤقتة ترفض التعاون مع أي حكومة لها علاقة بالإرهاب.

وأكد بيان حكومة الإنقاذ أن كل الفصائل التي تقاتل على الثغور هي صاحبة حق ولا تُعتبر إرهابية، منوها إلى الفارق بين مكان الحكومة المؤقتة في الخارج وبين الفصائل المقاتلة على الأرض.

كما أصدرت حكومة الإنقاذ قراراً في العاشر من كانون الأول، يقضي برفع دعوى قضائية ضد المدعو «ياسر الحجي» مدير مكتب العلاقات العامة في الحكومة السورية المؤقتة لمقاضاته بجرم التحريض وشرعنة قصف المدنيين.

من جهته أكد الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية في تصريح صحفي صدر عنه في ١٢ كانون الأول الجاري، أن الحكومة السورية المؤقتة هي الجهة التنفيذية الشرعية الوحيدة المعترف بها، والتي تتمتع بالشرعية للعمل على الأرض السورية، وأنها تقوم بعملها خدمة للسوريين في جميع المناطق المحررة والمحاصرة، وتقدم الخدمات والتسهيلات لآلاف الطلاب في المدارس والجامعات، بالإضافة للخدمات الصحية والزراعية وغيرها، من خلال مديرياتها وهيئاتها ومسؤوليها الموجودين داخل سورية.

ورفض الائتلاف الإنذار «المزعوم» الصادر عما يسمى حكومة الإنقاذ، واعتبره تصرف غير شرعي كحال الجهة التي أصدرته، ويُعد مخالفة قانونية وسابقة خطيرة يتحمل الأشخاص والأطراف المشاركون فيها، إضافة إلى هيئة تحرير الشام، المسؤولية الكاملة عنها، وعن أي ضرر يلحق بمكاتب الحكومة المؤقتة نتيجة ذلك، بحسب وصف البيان.

وأوضح الائتلاف أن مؤسسات الحكومة السورية المؤقتة ستتولى متابعة مهامها، وملاحقة المسؤولين عن المساس بأي من مؤسساتها بالوسائل القانونية.

حكومة الإنقاذ.. هل تستطيع إنقاذ نفسها لتنقذ المحرر؟

كما شهدت وسائل التواصل الاجتماعي موجة من الاستنكار والسخرية حول تشكيلها، معتبرة أنها محاولة من قبل فصيل عسكري لكسب غطائي مدني، وللسيطرة على مؤسسات المحافظة، ومشككة بقدرتها على الاستمرار والإدارة.

«محمد علي باشا» من أهالي مدينة بنش قال لزيتون: «أولا تسميتها باسم حكومة ليس صحيحاً، لغياب الشرعية المشكلة لها، كما أنها لم تقدم أي شيء ملموس يجعلنا نعترف بها كحكومة، ومن الأكيد أنها ستفشل لأنها مبنية على باطل، وعلى حب السلطة والاستحواذ من قبل القوة العسكرية التي تقف خلف هذا الكيان».
«مهاب حمدون» من أهالي بنش قال لزيتون: «أظن أن السبب الرئيسي لتشكيلها كان خوف هيئة تحرير الشام من التدخل البري التركي الذي كان من المحتمل أن يحدث، وتشكيل هذه الحكومة يعطي حجة لمن يريدون تقسيم سوريا، وذريعة لباقي المكونات السورية بتشكيل حكومات مصغرة في كل محافظة ومدينة وباستقلالية عن سوريا كدولة ووطن». مضيفاً: «منذ تاريخ إنشاء هذه الحكومة لم نلحظ لها أي نشاط، سوى قرارات ارتجالية، وأمامهم الحالة الأمنية المنفلتة فليوجدوا الحل لها، إذ تمت ١٦ عملية سرقة فقط في ليلة واحدة في مدينة بنش».

كما نوه «محمود جدوع» إلى أن تشكيل أي حكومة مناطقية في الداخل السوري هي نقمة أكثر مما هي نعمة، أيّاً كان خلف تشكيلها، لأنها بداية لمشروع تقسيم سوريا.

حكومة على الورق

رغم التغيير الجذري في السلطات على محافظة إدلب واختلاف مصدر القرارات والغاية منها، إلا أن حال الأهالي لم يتغير، فتردي الوضع الأمني والمعيشي بقي على حاله، وهو ما دفع بالأهالي للتشكيك في أي خطوة هدفها التوسع بالسلطات من قبل أي جهة كانت، ولا سيما حكومة الإنقاذ.
«أبو عبدو الشيخ عيسى» من أهالي مدينة إدلب يرى أنها «حكومة على الورق وليس لها أي وجود فعلي على الأرض»، كما يعتبرها محمد مطر أنها «جزء من مشروع كبير يحاك لإدلب والمشروع تشرف عليه هيئة تحرير الشام وطالب بالوقوف ضدها»، كما أكد علي الجاسم أن «حكومة الإنقاذ سوف تزول في حال زوال تحرير الشام».

«أحمد الجمل» من أهالي مدينة إدلب لا يرى أن لحكومة الإنقاذ أي دور سوى إعطاء الصبغة الشرعية لهيئة تحرير الشام، وإزالة صفة الإرهاب عنها، من خلال حكومة مدنية، طارحاً عدة تساؤلات حول دعم المدارس، وضبط الأسواق، وأمن الأهالي والتخفيف من معاناتهم المعيشية».
ويقول «محمد الأحمد» أحد أبناء وناشطي مدينة إدلب لزيتون: «قبل تشكيل حكومة الإنقاذ كان يجب التنسيق مع الحكومة المؤقتة ودمج الحكومتين معاً، كي لا يتشتت صوت المعارضة السورية بين الحكومات».

بينما «ياسر المحسن» من مدينة إدلب يشيد بحكومة الإنقاذ ويرى أن الهدف منها هو تشكيل حكومة على الأرض لا في الخارج، ويرى أنها ستستمر بشرط تمكنها من حل المشاكل والتخفيف عن الأهالي.

في جسر الشغور.. نساء لم تمنعهن الحرب من العمل

ياسمين جاني

غالباً ما تتخذ المرأة من أسرتها، الهدف الأول، والعمل الأهم في حياتها، والذي تليه الأعمال الأخرى، بالإضافة إلى كونها العامل الأبرز في نجاحها، والدليل الأكبر عليه، إلا أن الأسرة تكون في بعض الأحيان، عائقاً لا عاملاً مساعداً للمرأة، لا سيما في ظل تمسك بعض العائلات ببعض العادات الاجتماعية البالية، التي تجعل العمل والنجاح خارج المنزل حكراً على الرجل، كما هو الحال لدى «سهام»، من نساء مدينة جسر الشغور، والتي كانت تعمل قبل طلاقها مستخدمة في مركز صحي، ولكن والدها وإخوتها منعوها من متابعة عملها بعد طلاقها، واضطرت للرضوخ لقراراتهم الأحادية الجانب، على الرغم من أنها تخص حياتها هي.

ولم تقف معوقات عمل المرأة عند حدّ العادات الاجتماعية والتقاليد، ففي ظل الأوضاع التي تعيشها سوريا والفلتان الأمني في محافظة إدلب منذ عدة سنوات، كان الأطفال في كثير من الأحيان، عائقاً أمام عمل الأم، نتيجةً لخوفها عليهم من القصف أو الخطف أو ما إلى ذلك، وعدم قدرتها على تركهم.

فأطفال «هيام» الستة، لم يتركوا لها متّسعاً من الوقت لممارسة عملها في مجال المحاسبة، على الرغم من تلقيها عدة عروض للعمل لدى منظمات ومؤسسات براتب مغري نظراً لكونها خريجة معهد العلوم المصرفية، وأعطت هيام الأولوية لحياتها العائلية على العمل، وآثرت تربية أطفالها، وعدم تركهم لاحتمالاتٍ قد تؤدي إلى نتائج لا تُحمد عُقباها، كما جرى مع ابنة مدينتها «عبير»، وهي سيدة من مدينة جسر الشغور، رفضت الخضوع للظروف والأوضاع السائدة في مدينتها، وواصلت عملها في أحد المعاهد الترفيهية للأطفال، إلا أنها فقدت بناتها الأربع في إحدى الغارات الجوية الروسية على مدينتها، والتي تسببت بدمار منزلها فوق رؤوس بناتها، وذلك أثناء تواجدها في عملها.

ما أحسّت به عبير في ذلك الوقت، لا يُمكن وصفه، ولا تُحسد عليه، فقد حمّلت عبير نفسها مسؤولية ما جرى لبناتها، ولامت نفسها على تركهن بمفردهن، وانطوت على نفسها، واعتزلت عملها لفترة، قبل أن توقن بأن الحياة لا بد أن تستمر بحلوها ومرّها، وربيعها وخريفها، وتعود للعمل بعد أن أدركت أهمية عملها، وما يترك في نفوس الأطفال من راحة وسعادة، معتبرةً أن عملها مع الأطفال واجب عليها، وأن كل طفل تستطيع إسعاده، وكل طفل تتمكن من رسم البسمة على شفاهه هو طفلها، على حدّ تعبيرها.

كما شهدت مدينة جسر الشغور ظهور الكثير من النماذج لنساء ناجحات في مجال عملهن، فهناك نساء تحدين الواقع الأمني والاجتماعي، ووقفن في وجه جميع الصعوبات لإثبات أنفسهن في المجتمع، وتأدية دورهن فيه، ومنهن «فائقة عبد العال»، وهي من أولى النساء العاملات والناشطات في مدينة جسر الشغور في ظل الثورة وقبلها.

بدأت فائقة العمل في مجال رياض الأطفال قبل نحو عشر سنوات، ووجدت التعامل مع الأطفال شيئاً رائعاً، كونهم يمتلكون قلوباً بيضاء، وعقولاً نظيفة، واستطاعت أن تزرع فيهم حب العلم، وجعله هدفاً لهم ومتعة، لا واجباً مفروضاً عليهم، ومع بداية تحرير مدينتها، انتقلت فائقة لتعليم الأطفال القراءة والكتابة، وتحفيظهم القرآن في عدد من مساجد المدينة، وذلك نظراً لتوقف المدارس، وقلة عدد السكان آنذاك، وعدم وجود بيئة مناسبة للقيام بأي نشاط لهم داخل المدينة إلا المساجد، وحوصرت مع الأطفال في تلك المساجد مرات عديدة نتيجة الغارات التي كانت تستهدف المدينة بشكل شبه يومي، دون أن يثنيها ذلك عن متابعة عملها، والعمل لتحقيق هدفها.

بل على العكس من ذلك، فقد اشتركت فائقة في عدة مسابقات للعلوم الشرعية في جمعية الشباب المسلم، وحصلت على المرتبة الأولى أكثر من مرة، وتابعت دراستها في جامعة إدلب الحرة قسم اللغة العربية، وتخرجت منها قبل سنة تقريباً.

وعن التوفيق بين عملها ومنزلها وأهمية العمل بالنسبة لها، قالت فائقة لزيتون: «يجب على المرأة أن توازن بين عملها خارج المنزل وبين أسرتها، وذلك من خلال تنظيم الوقت، فالهدف الاول بالنسبة لي هو الأسرة وتنظيم أمور المنزل وتربية أولادي، والقيام بواجباتي تجاه زوجي، لأن نجاح المرأة في منزلها يعكس نجاحها خارجه».

وأضافت فائقة: «تكمن أهمية العمل للمرأة في كونها تستطيع أن تثبت من خلاله وجودها أمام نفسها أولاً، ومن ثم أمام أسرتها ومجتمعها، والناجح في الحياة سواءاً أكان رجلاً أم امرأة هو من كان لديه هدف واضح، وعمل من أجله».

كما استغلت بعض نساء مدينة جسر الشغور، فترة الهدوء التي سادت المدينة خلال الشهرين الأخيرين، لتقوم بنشاطات لم تشهدها المدينة سابقاً، في محاولةٍ منهن للفت الانتباه لوجود المرأة، وقدرتها على التأثير في المجتمع، حيث أقامت الفنانتان التشكيليتان «ختام جاني» و «فاطمة زيدان»، معرضاً للفنون التشكيلية في مدينة جسر الشغور، حمل عنوان «تحية إلى العاصي»، تضمن لوحات فحم ولوحات زيتية وفسيفسائية، جسدت الواقع الذي تعيشه سوريا حالياً، بالإضافة إلى بعض المواقع الأثرية في سوريا.

ولاقى المعرض إقبالا إعلاميا واجتماعيا واسعا، كما حظي بتأييدٍ من قبل أهالي المدينة، الذين رأوا فيه تحدٍّ من المرأة لأجواء الحرب والدمار، وأملاً بتحسن الواقع، وإثبات لجدارة المرأة بالمشاركة في بناء المجتمع والتأثير فيه.

الفنانة التشكيلية «ختام جاني» قالت لزيتون: «هذا المعرض هو بمثابة تحدي من قبل السوريين بشكل عام والمرأة بشكل خاص، للحرب والظروف، فبالرغم منها لا تزال هناك قدرة لديهم على الإبداع، وما يزالون قادرين على تصوير الحياة والجمال، وما يزال لديهم الأمل بأن تنهض سوريا من جديد».

كذلك أصرت بعض نسوة المدينة على العمل للنهوض بواقع المرأة والطفل في جسر الشغور، ورفع المستوى الثقافي والاجتماعي لها، من خلال نشاطات متنوعة، توعوية وتنموية، وتشكيل تجمعات نسائية تطوعية لتشرف على هذه النشاطات، ومن أبرزها «معهد نماء التطوعي» الخاص بالدعم النفسي والاجتماعي والتعليمي للأطفال، و «تجمع معاً نحو القمة» الخاص بالنساء والأطفال، والذي تشكل بجهود نسائية فردية بحتة، ودون أي دعم سوى الاشتراكات الشهرية للمتطوعات فيه، ومع ذلك يُقيم التجمع نشاطات تثقيفية وتعليمية وأشغال يدوية، ودورات للنساء في الخياطة والتمريض وغيرها، من أجل النهوض بالمرأة وزيادة وعيها.

ولا شك أن مثل هذه النشاطات والمحاولات، تتطلب تحدياً كبيراً، وجرأة في مواجهة العواقب التي من الممكن حدوثها، ولا سيما القصف، فرغم الهدنة والهدوء إلا أن من الممكن في أية لحظة أن تتعرض المدينة لقصف من الطيران أو من المعسكرات التابعة للنظام القريبة من المدينة، وهو ما يبعد المنظمات المختصة بشؤون المرأة، ويجعلها مترددة في الاقدام على أي مشاريع أو نشاطات، على العكس من سيدات جسر الشغور، اللواتي تمتعن بالجرأة والشجاعة والقدرة على مجابهة الصعوبات والعقبات.

النازحون في إدلب.. خيام على قارعة الطريق

أطفال نازحون في ريف إدلب - زيتون

شتاءٌ جديد، يحمل معه مزيداً من البرد القارس، ودرجات الحرارة المنخفضة، والتي من المتوقع أن تصل ذروة انخفاضها في الأيام القليلة المقبلة، وترتعد منها خوفاً وأنت تجلس في منزلك، وإلى جانب مدفأتك، فكيف بمن يسكن الخيام!.

وأنت تسير في طرقات محافظة إدلب، ترى خياماً باهتة اللون، مبعثرةً على جوانبها، لا تقي حر الصيف ولا برد الشتاء، يتبادر إلى ذهنك أسئلة كثيرة: «من يعيش في هذه الخيام يا ترى؟، ولماذا؟، وكيف يعيشون فيها في هذه الأجواء؟».

مخلص الأحمد

في إحدى الخيام المنتشرة على الطريق الواصل بين مدينة بنش وبلدة آفس، يعيش «فادي صبيح» الملقب «أبو فؤاد»، النازح من بلدة «العطشانة» بريف حماة الشمالي، مع عائلته المكونة من ٧ أشخاص، محاولين التأقلم مع بيئتهم، والتغلب على ظروفها، وتكييفها قدر الإمكان مع متطلباتهم الحياتية، وذلك بعد ٤ سنوات من النزوح، عاشوا سنة منها في هذه الخيمة.

لم يخطر في بال «صبيح» يوماً، أن الخيمة التي كان يستعين بها في أيام الصيف، بعمله في رعي وتربية المواشي سابقاً، ستتحوّل إلى منزلٍ دائم له ولأسرته، بدلاً من منزلهً الحجري الجميل، الذي وُلد فيه أبناؤه.

«فادي صبيح» قال لزيتون: «نعيش في هذه الخيمة منذ سنة تقريباً، ولم نتلقَ أي مساعدات من أي جهة أو منظمة، وحتى خيمتنا من صنعنا، غير أن بعض أصدقائي يقدمون لي بعض النقود كمساعدة بين وقتٍ وآخر، كلما توفر لديهم وبحسب إمكانياتهم».

وأضاف «صبيح»: «أعمل أنا وأولادي الثلاثة، فؤاد وخليل وعبد الجبار، بنقل خطوط الري وتركيبها، وذلك في الأراضي الزراعية المجاورة لخيمتنا، لنحصل على بعض الأموال التي تساعدنا على المعيشة، وفي الوقت ذاته نؤمن المياه اللازمة لنا، إذ نقوم بتعبئة خزان سعة ١٠٠٠ ليتر، من هذه الأراضي الزراعية، ولكن في فصل الشتاء يكون العمل قليل جداً».

وفي محاولةٍ منه للتغلب على مشكلة الكهرباء، اشترى «صبيح» لوحاً لتوليد الطاقة الكهربائية عبر الطاقة الشمسية، ويقوم من خلاله بشحن المدخرة الموجودة لديه، لتشغيل الأضواء ليلاً.

أما بالنسبة للتدفئة، فما تزال المشكلة الأكبر التي تعاني منها عائلة «صبيح»، وللتخفيف من حدتها عمد «أبو فؤاد» إلى جمع القليل من الحطب، ليقوم في المساء بتشغيله خارج الخيمة، وينتظره إلى أن يصبح جمراً، ويدخل به إلى داخل الخيمة لكي تحصل عائلته على بعض الدفء.

وكذلك الحال بالنسبة للتعليم، إلا أنها المشكلة الوحيدة التي لم يجد لها «صبيح» حلاً، إذ أن كل أولاده بلا تعليم حالياً، فابنه فؤاد من المفترض أن يكون في الصف الثالث الثانوي، وخليل في الصف التاسع، وعبد الجبار في الصف السابع، ولكن «أبو فؤاد» لا يزال لديه أمل بأن تتحسن الظروف، وتتلقى ابنته الصغرى «غدير» ذات الأربعة أعوام تعليمها، على خلاف إخوتها.

نازحو ريف حماة بدون مساعدات ولا طبابة

طفل صغير يداه ترتجفان من البرد، وخداه محمران من لسع الهواء، وجسده الهزيل يكسوه بقايا ثوب خاطته له أمه من ملابس والده القديمة، حال أيمن كحال الآلاف من الأطفال النازحين، الذين لجؤوا مع ذويهم للسكن في المخيمات، أو في بيوت خربة قديمة، أو مبانٍ قيد الإنشاء، أو افترشوا صفوف المدارس وباحاتها.

يعاني النازحون في مخيم قباسين بريف معرة النعمان الشرقي من أوضاع معيشية وخدمية صعبة، لا سيما مع قدوم فصل الشتاء وبرده القارس، وشح المساعدات الإنسانية والطبية المقدمة من المنظمات العاملة في المنطقة. «بهجت أبو عهد» نازح من أهالي بلدة قارح بريف حماة الشرقي تحدث لزيتون عن ظروف نزوحه قائلاً: «نزح قسم من أهالي البلدة نحو عقيربات، والقسم الآخر ونحن منه، اتجهنا إلى ريف إدلب الجنوبي، وتم تقديم بعض الخيام لنا عبر مساعدات من أهالي المنطقة، ولكنها لم تكفي، مما اضطر البعض منا لشراء الخيام».

وأضاف «أبو عهد»: «لا ندفع أجور المكان الذي وضعت فيه الخيام، وفي السابق كانت منظمة «دار» تقدم لنا شهرياً سلّة غذائية لكل عائلة، وكنا ننتظر السلة الغذائية من الشهر للشهر، أما اليوم فلم يعد يتجاوز عدد المستفيدين من هذه السلال ١٠ عائلات من بين ٨٠ عائلة، والآن لا نملك ثمن ربطة خبز». وتنقّل «أبو محمد» على مدى ٧ سنوات من النزوح من ريف حماة إلى بلدة «خوّين»، ومنها إلى مخيم قباسين بريف المعرة، حيث كان الوضع حينها لا بأس به، على الرغم من أن عائلته لم تحصل على خيمة، ولكنها صنعت خيمتها من البطانيات، وأكد «أبو محمد» أن عائلته لم تحصل على أي نوع من المساعدات، منذ ٤ أشهر.

وكان «أبو عمر» نازح من مدينة صوران بريف حماة الشرقي منذ ٦ سنوات، قد وصل قبل نحو عام إلى مخيم قباسين، ووجد المخيم على هذا الحال، يفتقر إلى كافة الخدمات، باستثناء الرعاية الصحية، والتي اقتصرت على إعطاء الأطفال اللقاحات من قبل لجنة متنقلة،على حد تعبيره.

ولم يبتعد «أبو النور» النازح من قضاء حماة منذ ٣ أشهر، بشكواه عمن سبقه، إلا أنه أضاف: «نعاني من البرد الشديد، وهو كما يُقال «سبب كل علة»، ونحن في المخيم نحتاج إلى حطب للتدفئة وغذاء للأطفال».

من جانبه قال «عبد الله خالد» نازح من بلدة قارح بريف حماة الشرقي منذ سنة لزيتون: «قام أهالي المخيم بإنشاء مدرسة داخل المخيم بمبادرة منهم، بالرغم من انعدام المساعدات الإنسانية والطبية ووسائل التدفئة».

أوضاع النازحين الصعبة في مدينة أريحا

من ضفاف الفرات وخيره، نزحت عائلات إلى مدن إدلب، هرباً من الموت والحرب، واستقر الكثير منها في مدينة أريحا بريف إدلب، في بيوت متفاوتة في إمكانية سكنها، وأجورها، وسط شح كبير في المساعدات الإنسانية التي تقلصت تدريجياً مع طول المحنة السورية، وتراجع الخدمات الموجودة السيئة أصلا في المدينة.

«عبد الله الملاخصيف» أحد النازحين من مدينة دير الزور ومندوبهم في أريحا قال لزيتون: «نزحنا من دير الزور بسبب تصاعد القصف والاشتباكات المستمرة منذ عدة شهور، وخضنا رحلة للخروج منها لا يتصورها العقل لشدة مكابدتنا للمخاطر والمشاق، مع تكلفة باهظة لأجور التهريب، والتي تصل إلى ٣٠٠ دولار للشخص الواحد للوصول إلى المخيمات الموجودة في المناطق الكردية فقط، وهو ما قد يصل إلى مبالغ كبيرة تدفعها العائلات المكونة من عدد أفراد كبير».

وأضاف «الملاخصيف»: «للخروج من مخيمات الأكراد عليك أن تدفع مبالغ إضافية، لتصل في نهاية المطاف إلى محافظة إدلب وقد نفذ منك كل ما تملكه».

تتواجد ٢٨٥ عائلة نازحة من محافظة دير الزور في مدينة أريحا، يعاني معظمها من أوضاع لا إنسانية، نتيجة لإقامة الكثير منها في بيوت مهدمة أو قيد الإنشاء، وغياب الجهات المسؤولة عنها وافتقارها للخدمات الضرورية.

ويوضح «الملاخصيف» أن أجور السكن في مدينة أريحا أصبحت مرتفعة مع ازدياد عدد النازحين، في حين تراجع مستوى المنازل المؤجرة والمتفاوتة الجهوزية بحسب المبالغ المطلوبة لإيجارها، مشيراً إلى أن أدنى أجر لا يقل عن ١٥ ألف ليرة سورية، وهو مبلغ كبير بالنسبة للنازحين بحسب الملاخصيف.

ورغم إمكانية التحاق أطفال النازحين في مدينة أريحا بمدارسها، إلا أن تكاليف التعليم وأدوات الأطفال أصبحت عبئا على النازحين، وبحسب «الملاخصيف» فإن مستلزمات المدرسة من قرطاسية وحقائب قد تبدو للبعض أنها تكاليف بسيطة، لكن بالنسبة لمن لديهم عدد كبير من الأطفال وهو في حالة نزوح فإن الأمر مرهق، خصوصا في ظل ارتفاع الأسعار الكبير.

ورغم نشاط بعض المنظمات في مدينة أريحا كمنظمة وطن وتوزيعها للمساعدات الشتوية كالأغطية والفرش، إلا أن الكميات لم تكفي العدد الكبير للنازحين من جميع المحافظات، كما قدمت منظمة «نسائم الخير» مادة الديزل للتدفئة على عدد محدود منهم، مع غياب للمساعدات الغذائية والصحية وغيرها.

كيماوي الغوطة جعل منها ناشطة حقوقية

بجسد نحيل، وصبر كبير، قضت ولاء محمد الناشطة الحقوقية، سنوات طويلة، بعد بدء الثورة، خلف شاشة حاسوبها، وفي أروقة المنظمات الحقوقية في المملكة الأردنية، لتصل لتحقيق ما عاهدت نفسها على تحقيقه، إعادة حقوق السوريين المضاعة، ولئم جراحهم، ومساعدتهم على الوقوف من جديد، بعدما تعرضت له من محنة هي وأسرتها.

صورة رمزية

ربيع رزاز

في بداية عام ٢٠١٣ خرجت ولاء من دمشق إلى الغوطة الشرقية مصممة على العمل في المشافي الميدانية، ومساعدة الجرحى، لكنها لم تجد الوقت الكافي لهذا العمل، بسبب تمريضها لزوجها الذي تعرض لإصابات متكررة جراء عمله فيما يشبه الدفاع المدني حالياً، تقول ولاء عن تلك الفترة:

«خرجت إلى الغوطة وكلي قناعة ورغبة بمساعدة الجرحى، انضممت إلى إحدى دورات التمريض هناك، في مركز طبي متواضع، أنشأته إحدى الممرضات القديرات في الغوطة، لم أتخلى عن رغبتي بالعمل حتى بعد اصابات زوجي، لكن ما كان يراه من إصابات للأطفال والنساء كان يمنعه من السماح لي وللأطفال بالعمل في تلك المراكز، حرصا منه على صحة الأولاد النفسية».

وتضيف ولاء: «كنت مؤمنة بأن سلامتنا ليست مضمونة في البيت، وأن قدرنا لا يغيره اختباؤنا من القصف، وأن الناس بحاجة لكل مساعدة ممكنة، وكنت أرى في زوجي مثلاً أعلى، وهو الذي ترك كل شيء في حياته خلفه، لمساعدة الناس، كما كنت أرى في مديرة المشفى -وهي امرأة أربعينية- مثالاً رائعاً لي، حيث أنها أشرفت عليه، وعلى دورات التمريض المقامة فيه، وكانت يداً بيضاء وأماً لكل المصابين والجرحى».

تروي ولاء تفاصيل حياتها في تلك الفترة في الغوطة الشرقية، حيث لم يكن القصف ليتوقف على مدار اليوم، إذ كانت تتساقط القذائف حولهم بشكل دائم، ولم يكن هناك ملجأ في المبنى، جاهدة إبعاد الصغار عن رؤية الأشلاء التي كانت تجلب إلى المركز الصحي المجاور لهم، وتأمينهم قدر الإمكان عن خطر القذائف المنهمرة كالمطر.

وتتابع ولاء: «منذ الساعة السادسة صباحا وحتى الثامنة صباحا، كان هناك غارتين للطيران بشكل يومي، وهو ما تسبب للأطفال بأزمات نفسية حادة، وزاد من رفض زوجي بعملي في المركز، لا سيما مع عدم وجود أقارب لنا يمكن ترك الأطفال عندهم أثناء عملنا».

ليلة الحشر

تصف ولاء محمد يوم مجزرة الكيماوي في الغوطة الشرقية بليلة الحشر وتقول: «في الساعة الثانية إلا خمس دقائق تحديداً، يوم الأربعاء ٢١ آب من عام ٢٠١٣، استيقظت على صوت انفجار صاروخ قوي وغريب، ورغم أني لم أكن أخاف من القذائف والصواريخ قبلها، لكن في تلك الليلة دفعتني غرابة صوت الانفجار وإحساسي إلى الخوف والفزع.

تستكمل ولاء قصتها في ليلة الحشر: بدأت الأصوات تتعالى في الشارع، فهناك من يشعل النار تخفيفا لحدة الغازات، وهناك من يركض رغم إصابته من «حلاوة الروح»، وهناك من يصرخ لإخبار الأهالي وتوعيتهم وطلب المساعدة من القادرين، وأصبحت الجثث والمصابين تملأ الشوارع، مشهد هو أقرب للجحيم، حيث الموت يتسلل بصمت إلى النائمين، يسلب الأطفال والنساء والرجال أرواحهم، بلا صوت وبلا دماء، لم يكن هناك سوى صوت الحشرجات، وصوت خروج الزبد من أفواه المصابين وتشنج عضلاتهم وارتعاشهم كورق يابس.

انتقلت ولاء مع الخارجين إلى مكان خارج الغوطة، ولجأت بعدها إلى الأردن، ولم يكن أمامها من هدف سوى نشر الحقيقة عما حدث في الغوطة.

وفي الأردن بحثت ولاء عن مسؤولة لجنة تقصي الحقائق، وزارت منظمة الصليب الأحمر الدولي، والتقت مع مدير مكتب الأمم المتحدة في الشرق الأوسط، ومدير مكتب الأمم المتحدة في مصر، تحدثت معهم عما جرى وحكت كيف قضى الناس بصمت في بيوتهم أثناء نومهم، قدمت عشرات المرات شهادتها للقنوات التلفزيونية ولكل وسائل الإعلام المتاحة، شاركت بشهادتها برسالة طلاب الماجستير في كلية الإعلام من خلال فيلم مصور لتعريف الشباب الأردني بوضع الثورة السورية بشكل عام، وبمجزرة الكيماوي بشكل خاص.

«كان هناك من يشعل النار تخفيفا لحدة الغازات، وهناك من يركض رغم إصابته من «حلاوة الروح»، وهناك من يصرخ ليخبر الناس»

في أواخر عام ٢٠١٣ خضعت ولاء لدورة لحقوق الإنسان وتوثيق الانتهاكات، برعاية من منظمة «هيومن رايتس ووتش» التابعة للأمم المتحدة، ثم لتشارك في تشكيل منظمة حقوقية مع عدة شبان سوريين، وثقوا خلال عملهم الأوضاع الإنسانية والصحية والاقتصادية والميدانية في سوريا، وتقدموا بتقاريرهم الدورية للأمم المتحدة، وللكثير من الجهات التي تناصر الشعب السوري، وما زالت المنظمة تقوم بعملها حتى هذا الوقت.

خضعت ولاء للكثير من الدورات التدريبية حول المرأة والطفل وحقوق الإنسان، بهدف صقل أدائها وجعله أكثر احترافاً ومهنية، منها دورة تدريبية في مجال تعزيز دور المرأة بالتعاون مع عدة منظمات دولية، أبرزها منظمة هيومن رايتس ووتش، ومنظمة العمل الدولية.

كما شاركت ولاء المؤسسة السورية للتوثيق والنشر في توثيق بيانات المعتقلين والجرحى، وقامت بتوثيق الشهداء وعائلاتهم، وظروف استشهادهم، إضافة إلى ما كانت تقدمه من عمل بصفتها عضوة بالمكتب الحقوقي بمجلس قيادة الثورة بدمشق وريفها، إذ قامت بتوثيق شهداء الغوطة الشرقية والمجازر والمقابر الجماعية.

وفي المركز العربي للسلام والأمن الدولي ساهمت بتوفير ملف الاختفاء القسري للمعتقلين المغيبين، والمفقودين المجهولي المصير. كما شاركت بشكل فاعل في توثيق وإجراء مقابلات مع المفرج عنهم، وخصوصا النساء والأطفال، من خلال عملها الغير رسمي في الشبكة السورية لحقوق الإنسان، وذلك بكتابة قصص انسانية ورصد الحالات الصحية والنفسية لهم، إضافة للقاء الجرحى والمصابين المتواجدين في المملكة الأردنية.

وأنجزت فيلما وثائقيا عن حياة السوريين قبل الثورة وبعدها، وعن مجزرة الكيماوي، بالتعاون من شركة إنتاج غربية، فاز الفيلم بجوائز عدة في الدول أوروبية.

اختزلت ولاء حياتها الشخصية ولمدة أكثر من أربعة أعوام في متابعة الأوضاع الميدانية وتوثيق المعتقلين والقتلى والجرحى، والبحث عن عائلات وضحايا مجزرة الكيماوي الذين أصيبوا في الغوطة، في محاولة منها لرفع دعوى قضائية أمام محكمة العدل الدولية بمساعدة بعض المنظمات الحقوقية.

لكن العمل الطويل والمكثف ترك أثره على حياتها، وعلى اهتمامها بأطفالها، وتعرضت لحالات من الاكتئاب والانطواء النفسي أبعدها عن الواقع، لتعيش معزولة على حاسوبها، مكرسة حياتها للعمل.

قاعدة من البيانات المتحركة كانت تجسدها ولاء لكل الجهات التي كانت تحتاجها، كانت على معرفة واسعة بمعظم ما كان يحدث في سوريا، كانت ترغب بمعرفة كل شيء، واطلاع العالم على كل شيء، لم تكن تعمل من أجل كسب شخصي، كان هدفها أن تنتصر هذه الثورة ويعود الحق لأصحابه.

حاولت بشكل فعلي أن تنشئ مع بعض الناشطات والمعتقلات السابقات في سجون النظام، رابطة للمعتقلات السوريات، بهدف توثيق المعتقلات في السجون، إضافة إلى إعادة تأهيل المفرج عنهن، لا سيما بعد أن شاهدت تجارب مؤلمة لنساء تعرضن لسوء المعاملة من عائلاتهن، وأزواجهن بعد خروجهن من المعتقل، وحول قصص إنسانية مؤثرة، أيقنت أنهن بحاجة إلى دعم صحي ونفسي بشكل ضروري.

ما تزال ولاء حتى اليوم تلاحقها كوابيس المجزرة، كما تلاحقها أسماء الشهداء والمعتقلين الذين لم توثقهم، رغم ما تملكه من ذاكرة استثنائية في تذكر أي اسم يمر عليها، ما زالت ترى أسماء بعض الذين لم تتمكن من معرفتهم، يبحثون عن أسمائهم وحقهم في القوائم والليالي الطويلة.

وفي بداية العام الحالي انتقلت ولاء إلى أوروبا، لتلتفت إلى حياة أطفالها ومستقبلهم، الذين طالتهما رضوض نفسية مما تعرضوا له وشاهدوه في سوريا من محنة ومن أثر الغازات عليهم، بانتقالها كانت تحاول إيجاد نفسها، وترميم ما تخرب من روحها، إذ اكتشفت أنها وقعت ضحية عملها، وصارت بحاجة لمن يساعدها، لكنها ما تزال تراقب من بعيد، شوارع مدينتها وحياة أهلها، وما يزال حلم عودتها وقضية بلدها يضغطا على كل ما عداهما.

النّصوح.. صندوق الذكريات وحارس الغياب

رائد رزوق

من داخل إحدى الجرار الفخارية، كان أحمد يقرأ ولأول مرة بعض ما يتذكره من سور قصيرة من القرآن، شاتماً تلك الساعة التي دخل فيها إلى القبو، إذ لم يكن لديه شك، في إعدامه على وجه السرعة في حال العثور عليه من قبل قوات الأمن التي اقتحمت المنزل الذي اختاره حينها كمخبأ له.

يلقبونه بأبي قيس، أو النّصوح كما يحب أن يسمي نفسه، صاحب أشهر صالون حلاقة في المدينة، باسم اختاره بعناية تدل على ميوله وثقافته، «عشتار» آلهة الحب والولادة والربيع، ورغم أنه في العقد الرابع من عمره، إلا أن له روح مراهق نزق، إذ لم تمنعه خيوط الشيب في رأسه من ملاحقة قصص الحب التي كانت تميته وتحييه، زاد من هشاشته في مواجهة العواطف ما يملكه من قلب رقيق، وروح غضة تنهار بسرعة أمام أي مشهد جميل، أو كلمة مؤثرة، أو موقف لافت.

أنيق كدبلوماسي، إلى حد يبعث على الغرابة، ذو هيبة ووقار حين يكون متمترساً، لكنه أرعن ومجنون حين يستشيط غضباً، وماجن عربيد حين يصدعه الهوى، نديم نادر إن رغب، وصديق دافئ، وعدو موجع، ولسان سليط، ذو بديهة حاضرة في المناكدات، ذو نكتة خفيفة، فيه مرحُ طفولي طاغ، نصفه أنثى، ونصفه ذئب، وثلاثة أرباعه ملاك، نصاب محترف حين تعضه الحاجة، وزنديق مجدف إن تمرد، أليف كقط إن أحب، كريم مسرف لدرجة التبذير، بخيل كأرملة مقترة، ذكي كثعلب ودافئ كحضن.

يقول عنه صديقه اللدود أسعد كنجو: «مغامر مقامر لن يئد جموحك بأي حذر، ولن يفلت يدك على طريق الحلم، مغرم بلهيب النار ولو أحرقه، يهين بؤس الحياة حين يفرح بشكل العشب على الصخر، لا يقدر على العيش بلا حب، يبحث عن معشوقة ولو بين ركام الحرب، وان لم يجد صنع واحدة من تمر المعونات ويعشقها».

كما يصفه منهل باريش وهو لدود آخر له: «خفيف وطري على القلب، قلبه وبيته مأوى للمشردين والهاربين من عسف زوجاتهم، لا أعرف رجلاً تحمل مزاج أصحابه وتقلباتهم أكثر منه».

أفضل من يصنع من لا شيء وليمة، لا يمنعه غياب الأساسيات عن مطبخه حتى يعد باهتمام بالغ مائدة معتبرة لضيوفه، إذ يضفي على البساطة جمالا ولذة، ويعطي للنكهات البسيطة معنى بعيدا تكاد تشعر أنك تتذوقها لأول مرة، فببعض الخبز المحمص وحبات قليلة من الزيتون والحصرم المخلل، يخيل إليك بأنك أمام احتفال.

له حضور في كل اجتماع لرفاقه في دول اللجوء، بضغط من ذاكرتهم وحيويته، يبادلونه المقاطع الصوتية، وصور السهرات لكي يغيظونه، لكنه بحربائية عالية يجعل من التراب الأحمر وحبة البندورة التي انتجتها له شتلة زرعها منذ برهة، وقليلا من البصل الأخضر خسارات تتأكل أرواحهم الغريبة، ليقلب الطاولة عليهم، مع الكثير من الشتائم التي تطال شقيقاتهم بالاسم، ومشاريع نسب ومصاهرة جديدة على وشك القيام بها، مبررا هذا التصرف برغبته بعدم ترك النساء وحيدات في ليال الشتاء الطويلة.

نجم على وسائل التواصل الاجتماعي يحسده عليه اصدقاؤه على الكم الهائل من التعليقات والتفاعل التي تتلقاه منشوراته، ولا يجدون بدا من المشاركة والتعليق أملا في أن يحدوا من تألق تلك الشخصية لكن عبثا، في منشوراته تساؤلات تطال الوجود، والعلاقات الاجتماعية، والكثير من اللفتات الساخرة، في حالة من اللامبالاة تثير الاعجاب.

لا يستقر على مبدأ أيا كان، أفعواني متلون، زئبقي ومرن حسب الحاجة، فمن يأمن جانبه اليوم لا بد وأن ينقلب عليه في الغد، ذلك لدواع الضرورة ولزوم الحديث، الذي قد يتطور أحيانا إلى مواقف مؤقتة، عجزه عن مغادرة البلاد قد يسميه وطنية، وعلاقاته المشبوهة يرجعها إلى الإنسانية الصرفة في مساندة الضعفاء، أعداؤه بالأمس أصدقاؤه اليوم، لكن في النهاية ليس هناك أعداء حقيقيون، لديه مروحة واسعة من الأصدقاء، يخال كل منهم أنه المقرب إليه، مع قدرة عالية على تنسيق وقته بينهم وترتيبهم بحسب حاجاته المختلفة.

ممسوس بالجمال، الذي يراه في مقطع شعر عميق، أو أغنية عراقية ذو معنى وحزن، أو رائحة عطر، أو امرأة أو طقس ما، لديه تسجيلات قديمة ما زال يحتفظ بها على أشرطة كاسيت «سوني» لمطربين لم يسمع بهم أحد، ولا يملك مسجلة، ولديه أرقى الملابس لكن بدون خزانة.

تنقل بين منازل عدة، لم يمتلك أيا منها، لكن للأماكن لديه قدسية مرتبطة بذكريات يعتبرها كنزه المكنون، من كروم صخرية بجانب المدينة، إلى بيوت قديمة مهجورة من عقود، إلى زاوية في حارة شعبية، وكرسي في غرفة صديق، شارع مرتبط بثورة، وقبو مرتبط بموت، بعين فنان وذوق شاعر وحساسية مبدع، يخلق أحمد من تلك الأماكن أيقونات لدى معارفه، يضيق تفكيرهم حين يمرون بتلك الأماكن عمن سواه.

لا حرج لديه إن انكشف في موقف ما، ابتسامة الاعتذار جاهزة لديه، مكنته وما زالت من تجاوز الطرف الأخر لكل هفواته، وبضحكته الخجولة أحيانا القادرة على اذابة الحجر، يعاود هفواته بكل بساطة وثقة، إذ لا يمتلك أي إيمان بالحياة غدا، همة اليوم والساعة، وليأتي الطوفان غدا، «دعونا نعش اليوم ولنمت غدا».

كلماته البذيئة والسوقية صارت مألوفة ومستعملة ومحفوظة الحقوق له، لها طرق استعمال وتوقيت يصعب على غير الأصدقاء المخلصين إدراكها، هذه المفردات التي كان يتم تجنبها أمام الأطفال والغرباء صارت حديثا عاديا لا يلتفت إليه مع أحمد، كونها أخذت نبرة صوت وحالة ود انفصلت عن تاريخها البذيء، وأصبحت مفردات هي أقرب للغزل والحب.

محبوب أبدا، لا يمكنك معاداته أكثر من يوم، يبث إدمانك فيه بلا وعي، تجد نفسك على بابه في ساعات الفجر، وبأخر الليل، يستحسن أن تجلب قهوتك معك قبل أن يقنعك بأن النعناع مشروب الفجر الرائع.

حين كنا في السادسة من عمرنا، كان يمسك بثوبي من الخلف، رغبة منا بأن لا نفترق، ما تزال ثيابي حتى اليوم مشدودة من ذلك المكان، تحمل مكالماتنا الأمنيات باللقاء، خائفين أن يمضي العمر ولا نلتقي.

حين اقتحمت قوات الجيش برفقة الأمن والشبيحة مدينة سراقب في ١١ آب ٢٠١١ لم تسعف ذاكرة أحمد -وربما كان لحظه العاثر دور في ذلك- في ذلك الصباح اللعين، من استحضار أماكن للاختباء سوى مقر البعثة الإيطالية للآثار في الحي ذاته، وهو منزل واسع فيه أكثر من عشر غرف ملأى بكميات كبيرة من قطع الفخار المكسر وبعض الجرار المجمعة من تلك القطع التي تم جلبها من المواقع الأثرية القريبة من المدينة، وبسبب مجاورته لمنزله، وإشراف ابن عمه عليه، ناهيك عن شدة الرعب والفزع الذي ساد المدينة في ذلك الوقت، دخل أحمد إلى المقر واختبأ في أحد الأقبية الموجودة فيه ظناً منه أنه في أمان تام.

تم اقتحام كامل غرف المنزل وتكسير الأبواب وتفتيشها، حتى وصل الجنود إلى القبو، وراحوا يركلونه بكل ما أوتوا من قوة، لكن الباب الصغير والمنخفض استعصى عليهم فقرروا تركه.

هذه الحادثة ليست جديدة عليه، فقد اعتاد على أن تحصره الحياة في زاوية أضيق من الجرة، لتبلغ روحه الحلقوم، ثم تتركه سعيدا ببقائه على قيد الحياة مستمتعا بباقي يومه كما اعتاد، وهو ما يمكن أن يكون سببا في عشقه للحياة.

عودة مرتقبة لـ BBC ريال مدريد

أصبح مثلث الهجوم الشهير لريال مدريد «BBC» جزءاً من الماضي نظراً لكثرة إصابات اللاعب الويلزي غاريث بيل أحد أركان هذا المثلث برفقة زميله الفرنسي كريم بنزيمة والبرتغالي كريستيانو رونالدو.

وكان زين الدين زيدان المدير الفني لنادي ريال مدريد يعتبر وجود الثلاثي كريستيانو رونالدو وغاريث بيل وبنزيمة أمراً ضرورياً غير قابل للتفاوض.

ومع تعاقب إصابات اللاعب الويلزي، اعتمد زيدان على خطة لعب ترتكز على الدفع بأربعة لاعبين في وسط الملعب، فنجح ريال مدريد في تقديم الأداء الأفضل له خلال العامين الأخيرين، والذي بلغ ذروته في نهائي بطولة دوري أبطال أوروبا الأخير، الذي نجح خلاله في التفوق على يوفنتوس الإيطالي ليتوّج باللقب القاري الثاني على التوالي إثر فوزه في تلك المباراة بنتيجة (٤-١) بالعاصمة الويلزية كارديف.

وتتطلع جماهير ريال مدريد لعودة المثلث الهجومي في لقاء جريميو البرازيلي اليوم السبت ٢٠١٧/١٦/١٢ ضمن بطولة كأس العالم للأندية بعد تعافي غاريث بيل من إصابته.

وكان زيدان قد دفع باللاعب الويلزي في الدقائق العشر الأخيرة من مباراة فريقه مع نادي الجزيرة الإماراتي في البطولة نفسها، يوم الأربعاء الماضي، فكان المنقذ لريال مدريد بتسجيله هدف الفوز في الثواني الأولى لدخوله أرض الملعب.

ويمر نادي العاصمة بأسوء أوقاته نظراً للنتائج المتواضعة التي يحققها في الدوري الإسباني، ما دفع بالمدير الفني زيدان لإعطاء الضوء الأخضر لإدارة النادي الملكي من أجل التعاقد مع البلجيكي ايدين هازارد لاعب نادي تشيلسي الانكليزي، وفقاً لما نقلته العديد من الصحف الإسبانية والانكليزية.

ويسعى زيدان لضم هازارد خلال الفترة المقبلة من أجل أن يكون البديل الأمثل للويلزي غاريث بيل الذي يعاني من الإصابات المتكررة وكريستيانو رونالدو لكبر سنه.

يذكر أنه مر أكثر من ٢٥٠ يوماً منذ أن لعب الBBC آخر مباراة لهم معاً أمام بايرن ميونخ الألماني في ذهاب الدور ربع النهائي من دوري أبطال أوروبا على ملعب أليانز أرينا في الثاني عشر من نيسان ٢٠١٧.

خوسيه ماريا سانشيز مارتينيز حكماً لمباراة الكلاسيكو في سانتياغو بيرنابيو

كشف الاتحاد الإسباني لكرة القدم عن اسم الحكم الذي سيقود مباراة الكلاسيكو، بين نادي ريال مدريد وبرشلونة في ٢٣ من الشهر الجاري، على أرض ملعب سانتياغو برنابيو، ضمن مباريات الجولة ١٧ من الدوري الإسباني.

وأوكلت لجنة الحكام في الاتحاد الاسباني إدارة المباراة إلى الحكم خوسيه ماريا سانشيز مارتينيز «٣٤» عاماً، وحاصل على الشارة الدولية عام ٢٠١٥.

وسيقود سانشيز مارتينيز مباراة الكلاسيكو للمرة الثانية هذا الموسم، حيث سبق وأن أدار مباراة إياب كأس السوبر الإسباني بين الفريقين في آب الماضي على أرض ملعب سانتياغو برنابيو، والذي شهد فوز نادي ريال مدريد بنتيجة ٢-٠.

وسبق للحكم سانشيز مارتينيز أن أدار ٨ مباريات لبرشلونة حقق النادي خلالها ٥ انتصارات، تعادلين وخسارة واحدة. وأدار أيضاً ٩ مباريات لريال مدريد حقق النادي خلالها ٧ انتصارات وتعادلين.

محمد صلاح لاعب الشهر في الدوري الانكليزي

حصل مهاجم نادي ليفربول، المصري محمد صلاح، الجمعة، على جائزة أفضل لاعب في الدوري الانكليزي الممتاز لكرة القدم «البريمبير ليغ» عن شهر تشرين الثاني.

وسجل صلاح، صاحب ال ٢٥ عاماً، سبعة أهداف خلال أربع مباريات خاضها فريقه في الدوري الشهر الماضي، ليساعد ليفربول على تحقيق ثلاثة انتصارات وتعادل.

وصرح اللاعب، الذي بات أول مصري ينال هذه الجائزة: «أريد تسجيل المزيد من الأهداف، ومساعدة الفريق على الفوز بالمباريات، في نوفمبر سجلت سبعة أهداف، ولكن الأهم هو تحقيق نتائج إيجابية».

وقالت صحيفة ميرور إن مستوى صلاح الرائع جعله يفوز بهذه الجائزة بعد تصويت خبراء الدوري والجماهير وقادة الأندية التي تشارك في البطولة، بينما قالت صحيفة إنفيلد التابعة لنادي ليفربول أن مهاجم الفريق محمد صلاح أول لاعب مصري يفوز بجائزة لاعب الشهر في تاريخ الدوري الانكليزي الممتاز.

وتفوق اللاعب، الذي حصل مؤخراً على جائزة أفضل لاعب في قارة افريقيا، في التصويت على كل من كيفن دي بروين ورحيم ستيرلينغ لاعبي مانشستر سيتي، وايدين هازارد لاعب تشيلسي، وشكوردان مصطفى لاعب ارسنال، واشلي يونغ لاعب مانشستر يونايتد.

باريس.. جنّتي الثانية بعد دمشق

وعد البلخي

مَـنْ منّا لم يحلم أو يخطر في باله مرة أن يزور باريس، عـاصمـة المـوضـة والأنـاقـة والثقافة، ويصعد إلى أعلى برج إيفل، الذي جمع ما بين جمال التصميم، وتاريخية المعلم، وبقي لأكثر من ٤٠ عاماً البرج الأعلى في العالم.

من إحدى الضواحي الباريسية، حيث الأبنية المعاصرة، إلى جانب الحجارة السوداء القديمة، التي رُصفت بها الأزقة، والتي تشبه تـمـامـاً أزقـة دمشق القديمة، ما يزيد من جمالها جمالا في عيني.

وحيث اللـون الأخـضـر، الـذي يعطي النفس راحـة وسكوناً وسلاماً لا مثيل لها، يطغى على معظم المساحات، لا أستطيع إلا أن أرى الجمال، لا سيما أن أرواح الأشخاص هنا جميلة، وتمكنت بجمالها أن تتغلب على صعوبة الـغـربـة، والبيئة الـجـديـدة، والوحدة، بالإضافة إلى معضلة اللغة التي لا أتقنها.

فأينما سرت تجد من يبتسم فـي وجـهـك، ويُـلـقـي عليك التحية، سواء باللغة العربية أو الفرنسية، ولا سيما من أهالي إقليم المغرب العربي، الذين يتمتعون بالنخوة والشهامة العربية، ويحافظون على الكثير من عاداتهم وتقاليدهم، وعلى زيارة بلدانهم كل صيف، وعلى بساطتهم ولهجتهم العربية، إلا أنهم يحتاجون لمترجم من لهجتهم إلـى اللغة العربية، ولكنهم يشعرونك بأن لديك أهل وعائلة.

وبـسـبـب سـعـة الـمـسـاحـات الخضراء والحدائق هائلة الحجم يخيل إليك أنك في الريف لا فـي إحـدى ضـواحـي بـاريـس، إذ تطل شرفتي على مدرسة ابتدائية تحيط بها حديقة قديمة، تتكدس فيها أوراق الشجر اليابس في طرقاتها الطويلة الهادئة، ورق بألوان مختلفة تميل باتجاه الأصفر والبرتقالي، أصـوات الطيور توقظك فجرا لتبدأ معك علاقة يومية نتيجة لتكرار الحركات ذاتها.

ومن على شرفة منزلي أتمعن فـي طـلاب الـمـدرسـة، وكيف يلعبون ويتلقون الـدروس والنشاطات، وكيف يتم الإشراف عليهم فـي أوقـات الفرصة في أيام الـدوام، وفي الصباح والمساء أتأمل بالسماء الصافية وزرقتها، وبالهدوء الـذي يعم المكان على الرغم من كثرة الـنـاس فـي الحديقة، وأشعر لـوهـلـة أنـنـي عـلـى شـواطـئ طرطوس واللاذقية، لا أعلم لماذا توحي لي الأجواء المحيطة بي بهذا الشعور، الذي يُدخل السعادة والحزن معاً إلى قلبي.

وعلى مسافة ليست بالبعيدة يجري نهر السين، أحد أطول أنهار أوروبـا، لتجاوره حديقة ثانية وثالثة، ولكأن باريس مجموعة من الحدائق المتصلة، التي قلّما تخلو إحـداهـا من المياه وألعاب الأطفال المقسّمة بحسب العمر، بالإضافة إلى الألـعـاب والأجـهـزة الرياضية للكبار، فالغالبية العظمى من السكان تمارس الرياضة، كلّ وفق الوقت المناسب له وطبيعة حياته وعمله.

غـيـر أنـك تـعـيـش الـفـصـول الأربعة كاملةً في يوم واحد، والمعطف صديقك في تنقلاتك طيلة العام، ولا سيما البعيدة منها، فدونما سابق إنذار تنهمر عليك الأمطار من السماء سيولاً مع زوابـع من الرياح الباردة، ولا فرق إن كان الفصل أساساً صيفاً أما شتاء، أما الشمس فإن سطعت أحرقت من شدة لهيبها وقربها من الأرض، وإن احتجبت جمّدت ما على الأرض طيلة النهار، طقس لم نعتده في سوريا أبداً، إلا أننا بدأنا نتأقلم معه.

في سوريا والبلدان العربية، كنا نسمع بمصطلح عصر السرعة والتكنولوجيا، وكنا نظن أننا متأخرين عـن هـذا العصر، إلا أن ما اتضح هو أننا نحن فقط من كان يعيشه ويهذي بـه، ونحن من يؤرقه ويضج مضجعه البطء، نعم التقنية موجودة في الدوائر الرسمية، ولكنها للتوثيق فقط، ولا تغني إطلاقاً في أي حال عن الملفات الورقية، والرسائل النصية، على الـرغـم مـن وجـود كافة البيانات لدى كافة الدوائر، إلا أنـك مضطر لتعبئة الأوراق كل أسبوع، وأحياناً تكون ذات المعلومات المطلوبة فيها، أما النتيجة فعليك أن تنتظر شهوراً لا يعلم بها إلا الله، والقليل من الفرنسيين من يستخدم الفيس بوك ووسائل التواصل الاجتماعي، باستثناء الواتس آب.

كما أن الكسل لا يجد مكاناً لـه فـي فـرنـسـا، فـمـن عمل إلى رياضة إلى تسيير أوراق وإجراءات، إلى حضور نشاطات، ينتهي اليوم، وأما وسيلة النقل لديهم فهي أقدامهم بالدرجة الأولى، تليها الدراجات الهوائية، ثـم الـحـافـلات أو «الميترو» للأماكن البعيدة داخل المدن، والقطارات لخارجها، أما بالنسبة لسيارات الأجرة فهي للرفاهية فقط، وأظـن أن السيّاح هم فقط من يستقلّونها، وبالنسبة لرخصة القيادة فكما يُقال «لا يـحـصـل عـلـيـهـا إلا كل طويل عمر»، وبعد عناءٍ كبير، وامتحانات عديدة.

وفـي شهري تموز وآب تكون الـحـيـاة فـي فـرنـسـا شبه متوقفة، الـدوائـر الرسمية والمشافي والعيادات، لا تجد فيها سـوى بضعة موظفين، وكافة النشاطات التعليمية والرياضية وغيرها متوقفة، عدا الترفيهية، فهذه الفترة هي فتر الإجـازة السنوية، التي لا يُفوّتها فرنسي أو أجنبي، دون أن يستغلها، فمنهم من يذهب للسياحة، ومنهم من يفضل زيارة عائلته وبلده الأصلي.

وتحوي باريس الكثير الكثير من الجنسيات والأعراق والديانات، ويسود الاحترام والبساطة بين الجميع، ومن الممكن في أي لحظة أن يحادثك أحدهم في الطريق أو في مكان عام حول أمر ما، وغالباً ما يكون فرنسي الأصل إن لم يكن عربياً، فهم الأكثر طيبةً وتعاوناً، كما أنك لا تـغـادر حافلةً أو مكاناً أو تترك أحداً دون أن يتمنى لك الموجودون يوماً سعيداً، أو ليلةً سعيدة، أو يتمنى لك التوفيق، وللسوريين حسب ما فهمت وضع خاص من حيث الخدمات الاجتماعية والتسهيلات وما إلى ذلك، ولكن بالتأكيد يبقى وضع كل عائلة هو ما يحدد بشكل أكبر طبيعة التسهيلات وأنواعها، فالأولوية للأطفال والـعـجـزة والـمـرضـى مـن كل الجنسيات.

ما زلـت أجهل الكثير الكثير من القوانين الفرنسية، لكنني سعيدة بالحياة فـي فرنسا، وأشعر بالرضا التام والقناعة المطلقة عـن اخـتـيـاري لها، وقبولها لطلبي.

فالجمال هو ما تشعر به نفسك، وليس بالضرورة ما تراه عيناك، فعندما تـرتـاح النفس لأمر أو مكان ما، تـراه جميلاً حتى ولو لم يكن كذلك، والعكس عندما تنفره، وكما نتجاهل أو نتغاضى عن سلبيات من نحبهم، نتجاهلها في الأماكن التي نرتاح فيها، وننظر فقط إلى إيجابياتها وجمالها.

ولكن كيف يكون الحال عندما يجمع هـذا الـمـكـان مـا بين الراحة النفسية تجاهه، وبين الجمال الذي يفرض نفسه على أعيننا!، وتكون إيجابياته أكثر من سلبياته.

لا بد أن أشعر حينها أنني فيما يشبه الجنة، جنتي الثانية، لأن الأولى دون منازع، ستبقى دمشق!.